1

قصص المبشرون بالجنة

رفيق الرحلة

سلوى العنانى





دار اللطائف

مقدمة

كانوا بشـرًا مثلنـا .. لكننـا لا نشبههم .. فقـد كـانوا راسخى الإيمـان ، ذوى نفـوس شـفافة .. تـأكد اتصـالهم الروحى بخالقهم .. كانت لهـم فرصـة لم تكـن لكثيرين غيرهم ، فهم من صحابة رسول الله الذين تتلمذوا على يديه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ، وآمنـوا بـه وبـالله الواحد القهار .. فباعوا الحياة واشتروا آخرتـهم بـالعمل المخلـص الصـالح .. مارسـوا الحيـاة .. بـاعوا واشـتروا ، تزوجوا وأنجبوا ، سافروا وأقاموا .. حـاربوا وانتصـروا ، صاموا وأفطروا ، ناموا جزءاً من الليـل وأقـاموا منـه مـا استطاعوا .. دخلوا المسجد .. وجابوا الأسـواق .. تمتعـوا بالحياة وزهدوا فى الترف .. تصدقوا ولم يبخلـوا.. كـانوا لإخوانهم ولنا من بعدهـم مثلا رائعـا للمسـلم الحق الذى يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لآخرته كأنـه يموت غدا.

مع المبشرين بالجنة نعيش سـطورا محـدودة بحجم كتابنا الصغير

ومعهم نعيد قراءة الحياة ونعيد ترتيـب الأوراق لـنرى أن الطريق سهل وهين ..

فقط نتمسك بميزان التقوى ونزن به أمورنا ..

فقط نتمسك بدستورنا (القرآن الكريم) ..

فقـط نقتدى بنبينـا الكريـم وصحابتـه الأبـرار الأطهار.

سلوى

رفيق الرحلة

(أبو بكرٍ الصدِّيق)

انتشر الخبرُ بينَ الناسِ .. مات النبىُّ .. لبَّى رسـولُ الله نـداءَ ربهِ ، وصعدتْ رُوحُه إلى بارئها ..

كانت صدمةً قويةً على كلٍّ منْ سمع الخبرَ .. فكيـف يتحمـل هؤلاءِ الذين عاشوا فى نورِ النبوةِ ، وسمعوا من الرسولِ حديثَه ورأوا فعله وموافقته ورفضَه ؟ .. كيـف يتحمـل هـؤلاءِ خبرًا مثل هذا ؟ .. وعلا النحيبُ وسالت الدموعُ ..

حتى (عمر بنُ الخطابِ) والمعروفُ عنه شدةُ الإيمانِ ورباطـةُ الجأشِ شهرَ سيفَهُ وهو يصيحُ :

- "إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسولَ الله مات ، وإنه والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربِّـه ، كمـا ذهـب موسى بـنُ عمران" .

"والله ليرجعنَّ رسولُ الله فليقطعنَّ أيدى رجالٍ زعمـوا أنـه مات" .

راح ابنُ الخطاب يصرخُ بأعلى صوته ..

ـ "ألا ، لا أسمع أحدًا يقول :إن رسولَ الله مـات ، إلا فلقـتُ هامتهُ بسيفى هذا" ..

لقد هزت الصدمةُ (ابـنَ الخطـابِ) وأطـاح الخبرُ بعقلـهِ ، فأصبح غيرَ مصدقٍ كيف يموتُ النبى ؟ كيف يموتُ رسولُ الله؟

وسط هذا الهرجِ .. ووسط هذا الصياحِ : جـاء شيخ مـهيبُ الطلعةِ ، نحيلُ الجسم ، أبيضُ البشرةِ ، محنـىُّ الظـهرِ ، معـروقُ الوجهِ ، غائرُ العينين ، ناتئُ الجبهةِ ، جاء الشيخُ المهيبُ وعلـى وجهه أماراتُ الفزعِ مما يرى ، وتوجّه لفوره إلى بيت رسولِ الله فرآه مسجى .. فكشف وجهَه الكريمَ وقبّله وهو يبكى وقال :

"بأبى أنت وأمى ، طبْتَ حيا وميتا . إن الموتةَ التى كتبها الله عليك قد متها" ..

وأعاد الثوبَ فغطى به وجـهَ النبى ، ثـم خـرج إلى النـاسِ يحاولُ أن يهدئ من روعِهم .. لكـن المصيبـةَ كـانت أقـوى ... فما كان منه إلا أن رفع صوتَه وصاح ...

"من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات .. ومـن كـان يعبـد الله فإن الله حى لا يموت .. تذكروا قول الله تعالى :

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُـرَّ اللهَ

شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران : 144].

وما إن انتهى الشيخُ من تلاوةِ هذه الآيةِ حتى هدأت ثورةُ الناسِ .. وسقط عمرُ بنُ الخطاب على الأرض يبكى بكاءً حارًا وهو يقول : "لكأنى لم أسمع هذه الآيةَ من قبلُ قط .. إنّا لله وإنّا إليه راجعون" .

فمن هو هذا الشيخُ الوقورُ المهيبُ صاحبُ الإيمانِ القوىِّ ، والعقيدةِ الراسخةِ ؟ .. من هذا الرجلُ الذى علا صوتُ القرآنِ فى داخلهِ فأسكتَ كلَّ الأصواتِ ؟ ..

إنه أبو بكر بنُ قحافة التيمى (الصدِّيق) .

أولُ من آمن من الرجالِ بالرسولِ الكريمِ ..

ولنعد معه بالسنوات لنتعرف عليه واحدًا مِنْ أشراف قريشٍ وأكرمِهم حسبا ونسبا .. واسعَ الثراءِ .. رابح التجارةِ .. يعرف عنه قومُه الكرمَ ، والجودَ ، وحسنَ الخلقِ .. لكن أحدًا لم يلتفت يوما إلى أن أبا بكر لم يكن يسجد للأصنام ، ولم يقدِّم لها القرابين .. نعم .. كان أبو بكر يستنكر هذه العباداتِ الحمقاء ، وإن كان لم يعلنْ هذا الاستنكارَ أبدًا .. فقط ابتعد عن أماكن اللهو والعبث .

وقاطع الاحتفالات (الدينية) كما كان يراها قومُه الوثنيون .

وفى نفس الوقت كان كثير التأمّل يفتش فى الكون عن شىء يفتقده ولا يستطيع أن يحددَه تمامًا .. هناك حقيقة "ضائعة" يبحث عنها فى ملكوتِ الأرضِ والسماءِ ..

وكان (أبو بكر) حافظا للشعرِ والأنسابِ .. ويُعد حجةً فى هذا المجالِ .. وكان حفيا بأشعار (الحُنفاء)(*) .

يتأمل أفكارَهم ويراها تجيب أحيانًا عن أسئلته .. لكنها كانت فى النهايةِ تطرحُ عليه أسئلةً أخرى أصعب وأشدّ تعقيدًا ..

خرج (أبو بكر) يومًا فى تجارة إلى الشامِ .. ولما عاد منها إلى مكةَ وجد أهلَها يتحدثون عما يردده (محمدٌ) وسأل (أبو بكر)..

ـ محمد الأمين ؟

ـ نعم .. (محمد بن عبد الله) ، الذى ندعوه (الأمين) .

ـ وماذا يردّد (محمد) ؟

ـ يقول : إنه قد أتاه وحى من السماء يأمره أن يدعو الناسَ إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وترك ما وجدنا آباءنا لها عابدين .

سمع أبو بكر حديثَ قومِه ، وكان هذا فى عام (601م) وراح يتدبر الأمرَ ..

(*) الحنفاء : هم الذين كانوا يتبعون ملة أبينا إبراهيم عليه السلام .. وكان هذا قبل ظهور الإسلام .

إنه يعرف (محمد بن عبد الله) حقَّ المعرفة .. فهو صديقهُ الذى يرى فيه كلَّ الخصالِ الحميدةِ والصفاتِ الطيبةِ .. ويكفى أن الناسَ يطلقون عليه اسمَ (الأمين) فهو الصادقُ النزيه الذى لم يعرف عنه أحدٌ يومًا أنه كذِبَ ، أو خان .

فإذا كان محمدٌ قد جاء بهذا الحديثِ الذى يتداوله الناسُ ، إذن فقد صدق .

وإلى دار (محمدٍ) الأمينِ اتجه (أبو بكر) تحدوه رغبةٌ فى أن يعرفَ الحقيقةَ من فمِ صاحبِها .

جلس (أبو بكر) إلى (محمدٍ) سأله .. وما إن انتهى النبىُّ من حديثِه حتى كانت عينا (أبى بكر) قد اغرورقتا بالدمعِ ، ووضع يمينه فى يمين النبى ونطق بالشهادةِ .

أشهد أن لا إله إلا الله وأنك نبىُّ الله ورسولُه .. وتعانق الصديقان ..

لكنه كان عناقا يختلف كثيرا عن أى عناقٍ .. إنه عناقُ العهدِ والميثاقِ .. عناقُ الحبِّ فى اللهِ وفى سبيلِ اللهِ .. عناقُ أولِ رجلٍ مسلمٍ لنبى الإسلامِ . عناقُ القلوبِ قبلَ عناقِ الأجسادِ .

ومنذ اللحظةِ الأولى شعر أبو بكر أن عليه مسئوليةً وعبئا .. فاتجه إلى أهل الثقة من أصدقائه يبلغهم دعوةَ (محمد) ..

وعلى يديه أسلم عددٌ من أشرافِ مكةَ ووجهائها وعقلائها .. أسلم على يديه (عثمان بنُ عفان) ، و (عبدُ الرحمن بنُ عوف) ، و (طلحةُ بن عبيدِ الله) ، و (سعدُ بنُ أبى وقّاص) و (الزبير بنُ العوامِ) ، و (أبو عبيدة بنُ الجراح) ..

وانتشر الإسلامُ فى ربوع مكّةَ .. انتشر كدعوة لحريةِ الإنسانِ وكرامتِهِ .. انتشر دينا يحطّم الحواجزَ بين الإنسان وخالقه ، ويلغى الوساطة والأغلالَ التى تكبّلُ بها الوثنيةُ النفوسَ .. تأمل العقلاءُ الأمرَ .. (أعمالُ الإنسانُ هى شفيعَةُ وحدها عند الله) (تجزى كل نفس بما كسبت) .. (لا تزر وازرة وزرَ أخرى) .

ويفد الناسُ أفرادًا وجماعات أحرارًا وعبيدًا إلى النبى يعلنون إسلامَهم .. وكان إسلامُ العبد جريمةً كبرى .. فكيف يغيّرُ دينه ويعتنقُ غيرَ دينِ سيّده ..

ويُنزل السادةُ العذابَ بعبيدِهم أملاً فى رجوعهم عما آمنوا به .. ويزداد العذابُ .. ويزداد الإصرارُ وتعلو صرخاتُ العبيد تحتَ سياطِ السادةِ .. أحدٌ .. أحدٌ .

ويسارعُ (أبو بكر) .. فيشترى العبيدَ المسلمين بأضعافِ أثمانهم الحقيقية ، ثم يعتقهم لوجه الله والإسلامِ ..

وتمضي مسيرة الدعوة بين قبولِ القلّة العاقلةِ وعزوف الكثرةِ الحمقاءِ ..

إلى أن كان عام (621م) .. أى بعد أحد عشر عاما من البعثة ..

جلس محمدٌ إلى جوار الكعبةِ صامتا شاردَ الذهنِ .. فاقترب مه بعضُ (المشاغبين) يسألونه ما به ؟ .. فقال :

ـ "لقد أسرى بى إلى المسجدِ الأقصى حيث صليت بإخوانى الأنبياءِ" .. وكانت صدمةً للجميع .. وجدها الكفارُ ذريعةً للسخريةِ من (محمدٍ) الذى ذهب إلى بيت المقدسِ ثم عاد منه فى ليلة واحدة .. وهو طريق تقطعه الإبلُ ذهابًا فى شهر ، وعودةً فى شهرٍ آخر ..

أما قليلو الإيمان فقد وجدوها فرصة للارتداد .. فكيف كان موقفُ (أبى بكر) ؟ ..

لقد ذهب الناسُ إليه فى بيته يقولون :

ـ أدركْ صاحبَك .

ـ وهل أصابه سوءٌ ؟

ـ إنه عند الكعبةَ يحدّث الناسَ أن ربَّه أسرى به إلى بيت المقدس .. فذهب وعاد إلينا فى ساعاتِ الليل ..

وعادت السكينةُ إلى قلبِ أبى بكرٍ .. وتهلل وجهُهُ وقال :

ـ أى بأس .. ؟ إنى لأُصدقه فيما هو أبعدُ من ذلك أصدقه فى خبرِ السماء يأتيه فى غدوةٍ أو روحةٍ .. إن كان قد قال .. فقد صدق" .

وأسرع إلى الكعبةِ .. حيث كان رسولُ الله يواجه وحده جدل السفهاءِ وتعليقاتِ الحمقى ..

وإلى أحضان النبى ألقى أبو بكر بنفسه وهو يقول :

ـ بأبى أنت وأمى يا رسولَ الله .. والله إنك لصادقٌ .. والله إنك لصادق .. والله إنك لصادق ..

ومن يومها أطلق على أبى بكر لقبُ (الصدِّيق) ..

وتمضى مسيرةُ الإسلام فى نضالها وكفاحها ضد الطغاةِ الكافرين .. ويعانى المسلمون من بطش قريش وظلمها .. فيهاجر بعضُهم إلى (الحبشةِ) .. ويهاجر البعضُ إلى (يثربَ) ، ويبقى رسولُ اللهِ فى مكةَ مع بعضِ أصحابِهِ ينتظرون أن يأذنَ اللهُ لهم بالهجرةِ .. كان الثلث الأخيرُ من الليل عندما اتجه النبىُّ إلى دار (أبى بكر) .

ـ "يا (أبا بكر) إن الله أذن لى بالهجرةِ" .

تهلّل وجهُ (أبى بكر) وقال : الصحبةَ يا رسولَ اللهِ" .

فرد عليه النبىُ .. "الصحبةَ يا أبا بكر" .

ويُجن جنونُ كفارِ قريشٍ ، وتشتعلُ المطاردةُ .. فكيـف يخـرجُ محمدٌ مـن مكـةَ ؟ .. إن هـذا يعنـى لـه حيـاةً جديـدةً مسـتقرةً واستعدادًا لأخذِ الثأرِ من قريشٍ ..

ويختبئ الصاحبان فـى الغـارِ .. ويصـل فتيـان قريشٍ علـى مقربةٍ منهما . ويتسللُ الخوفُ إلى قلبِ (أبـى بكـر) ويـهمسُ إلى صاحبهِ .

"لو نظر أحدُهم تحتَ قدميه لأبصرنَا" ..

فيجيبه النبىُ الكريمُ : "يا أبـا بكـر ، مـا ظنـك بـاثنين الله ثالثهما" ؟؟

{إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَـــا فَــأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيـــنَ كَفَــرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة : 40]

ويظل (أبو بكر) إلى جوارِ النبىِّ .. ساعدَه الأيمنَ فى غزواته يقاتل معه ، ويدافع عنه .. يحفـظ عنـه القرآن ويتـدارس معـه شئون المسـلمين .. وزيـرًا أول .. ونموذجـًا للإيمـان الخـالص .. والحبُّ الصادقِ للنبى الرسول ..

ونرجع إلى اليومِ الحزين .. يوم وفاةِ الرسولِ الكريمِ حيث قامت الزوبعةُ الكبرى واهتزَّ أغلبُ الناسِ بمن فيهم (عمرُ ابنُ الخطاب)، حتى وقف (أبو بكر) خطيبا ليقول :

ـ "من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات .. ومن كان يعبدُ الله فإن الله حى لا يموت"..

بعدها اجتمع أقطاب المهاجرين والأنصارِ ليختاروا فيما بينهم خليفةً لرسولِ الله .. وكاد الخلاف يشب بين المسلمين .. لولا أن أخذ (أبو بكر) بيد (عمر بنِ الخطاب) وبيد (أبى عبيدة بنِ الجراح) وهو جالس بينهم، وقال : رضيت لكم أحد هذين الرجلين ..

فانطلق صوت (عمرَ بنِ الخطاب) الجهورى : ابسط يدك يا (أبا بكر) .. فبسط (أبو بكر) يدَه فبايعه (عمرُ) وهو يقول :

ـ "ألم يأمرْكَ النبىُّ بأن تصلى أنت يا (أبا بكر) بالمسلمين .. فأنت خليفته، ونحن نبايُعك، فنبايع خيرَ من أحب الله منا جميعا " وانتهى ما كان قد بدأ من خلافٍ بين المهاجرين والأنصارِ وأعلن الجميعُ البيعةَ (لأبى بكر) خليفةَ المسلمين ..

وقف (أبو بكر) على منبرِ المسجدِ .. ليلقى بأولِ خطاب له بعد أن بايعه كلُّ المسلمين .. وقف يقدم (ورقةَ عمله ويضع

دستوره) .. فماذا قال ؟

"أيها الناسُ .. قد وُلّيت عليكم ، ولست بخيرِكم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى .. الصدق أمانةٌ ، والكذبُ خيانةٌ ، والضعيفُ فيكم قوىٌّ عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله ، لا يدع قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا حزبهم الله بالذلِ ، ولا تشيع الفاحشةُ فى قومٍ إلا همهم الله بالبلاءِ .. أطيعونى ما أطعت اللهَ ورسولَه ، فإن عصيت الله ورسولَه فلا طاعة لى عليكم" .

وبر (أبو بكر) بوعدِه .. فكان حكمه عدلا .. وشورى وجهادا فى سبيلِ اللهِ ورفعًا لرايةِ الإسلامِ .. لم يغير (المنصبُ الجديدُ) شيئا من (أبى بكر) .. فقد ظلَّ الزاهدَ العاكفَ ، القانتَ ، العاملَ .. الآخذ برأى الجماعةِ حتى آخر أيامِه ..

اتسعت دولةُ الإسلامِ فى عهد أبى بكر ، وعمَّ الخيرُ .. وتدفقت الأموالُ إلى (بيت المال) لكن هذا لم يغر (أبا بكر) .. فلم يغير ثوبَه بآخر فاخر .. ولم يغير بيته بآخر واسعٍ ..

وحين أدركه الموتُ دعا ابنته عائشةَ (أمَّ المؤمنين) وقال لها :

ـ "انظرى ما زاد فى مال (أبى بكر) منذ ولى هذا الأمرَ

فرُدِّيه على المسلمين" .

فماذا ترك أبو بكر .. وهو الذى كان يومًا من أثرياء العربِ والذى أنفق مالَـه كلَّه فى تحريرِ العبيدِ المستضعفين وفى الإنفاق على الغزواتِ وتسليحها ، وفى إطعام الفقراء والمساكين .. ماذا ترك أبو بكر ؟

ترك بعيرًا كان يحملُ عليه الماءَ .. وآنية كانوا يحلبون فيها اللبن وعباءة كان يستقبل بها الوفود .

هذا هو خليفةُ رسول الله الذى لم تغيّره الخلافةُ ، ولم تمنعْه من تقديمِ الخيراتِ للآخرين ..

كان قد اعتاد على زيارة بيوت بعضِ جيرانه من الأرامل والأيتام ، فلما ولى الخلافة لم يتوقفْ عن فعل هذا الخيرِ .. وكان يطرق هذه الأبوابَ كما تعوّد .. فيحلب الشياه للعجائز ويطهو الطعام لليتامى ، ويعجن العجين لغيرِ القادرات ، كان أبا لمن لا أب له .. وعائلا لمن لا عائل له .. وأخا لمن لا أخ له..

وابنًا ـ أحيانًا ـ لمن لا ابن له .. فقد تعلّم كيف يكون (الحُبُّ) على يد المعلِّمِ الأكبرِ .. والأستاذِ الأولِ .. كان له صَديقا (صِدِّيقا) .. ورفيقًا .. ثم أصبح له خليفةً ..

عليك سلامُ اللهِ يا أبا بكر ..

2

قصص المبشرون بالجنة



سلوى العنانى

الحاكم العادل

دار اللطائف

الحاكم العادل

(عمرُ بنُ الخطابِ)

مرَّ أميرُ المؤمنين يوما بمجموعة من الصبيانِ يتصايحون وهم يجمعون ثمارَ البلحِ المتساقطةَ من عراجينها على الأرضِ .. وما إن رأوه حتى جروا جميعا إلا واحدًا استمر فى جمع ما تركه رفاقُه وهربوا ..

ويقتربُ أميرُ المؤمنين من الفتى مبتسمًا فيبادره الفتى قائلا :

- هذا يا أميرَ المؤمنين بلحٌ مما ألقته الريحُ .. ويطلب منه أميرُ المؤمنين أن يرى البلح بنفسه ليتأكد من صدق قولِه .. ويفحصه ، ثم يقول للفتى : صدقتَ .

ويفرحُ الفتى بقولِ أميرِ المؤمنين ، ثم يقول له :

- "هل ترى هؤلاءِ الغلمانَ الواقفينَ هُناك ؟

إنهم ينتظرون انصرافَك ليهجموا عليَّ فيأخذوا ما جمعت من البلح .. ويضحك أميرُ المؤمنين ، وهو يربت

على كتفِ الفتى ، ويأخذ بيده حتى باب بيتــه ، ثــم يتركــه وينصرف ..

هذا هو أميرُ المؤمنين (عمر بنُ الخطــابِ بــنِ نفيــل بــن عبدِ العزّى) ...

نعم (عمر بنُ الخطابِ) الذى اتسعت دولةُ الإسلامِ فــى عهده حتى حدودِ الهندِ .. والذى امتلأت خزائن بيــتِ المالِ فى أثناءِ حكمِهِ .. والذى ارتفعت رايةُ الإسلام عاليــةً فــى عصرِه ، وتضاعف عددُ المسلمين .. لكنه كان رجــلا بسيــطا يؤمن بأن حبَّ الناسِ له ورضاءهم عنه هو أعظم ما يظفــرُ به فى الحياةِ ..

لم يكن (عمرُ بنُ الخطابِ) من الســابقين إلى الإســلام .. بل إنه أمضى ست سنوات من عمــره ومنذ بـدء الدعـوة الإسلاميةِ يتزعّمُ جبهةَ محاربةِ (محمدٍ) وصحبِه ..

خرج يوما من بيته شاهرًا ســيفَه عازمــا علــى المضــى إلى (دار الأرقمِ) حيث النبىِ وصحابتِهِ .. لكن الله أرســلَ إليــه من يُوقفه فى طريقــهِ ليســألَه عــن وجهتِــهِ .. ومــا إن علــم بعزمه على قتل النبىِّ حتى بادره قائلا :

ـ لبئس السعى سعيك ، وبئس المشى ممشاك ..

ثم أخبره أن دينَ (محمد) قد دخل دار شقيقته فاطمةَ التى اعتنقت الإسلام هى وزوجها سعيدُ بنُ زيد .. ومعهم خادمهم خبابُ بنُ الأرتّ ...

ويتضاعف اشتعال النار فى قلبِ (ابنِ الخطابِ) ويغير طريقَه .. فبدلا من (دارِ الأرقم) اتجه إلى دار (سعيد بن زيد) ..

عرفت (فاطمةُ) وزوجُها شخصيةَ الطارقِ .. فليس هناك من يلقّ البابَ بهذا العنفِ إلا (عمر) .. فسارعا بإخفاء (الصحيفةِ) التى كان يقرءان ما بها من قرآن ..

ويواجه عمر شقيقته وزوجَها بما سمع ...

فبماذا يجيب الرجل المسلم (سعيد بن زيد) ؟ ..

قال : "أرأيت يا عمر إن كان الحقُّ فى غيرِ دينك؟" .

وتهبُّ رياحُ الثورةِ العارمةِ ، وينهال (عمرُ) ضربا على الرجلِ المسلمِ وزوجتِهِ ...

هنا تألقت روحُ الإسلام فى نفس (فاطمةَ) ووقفتْ تواجِهُ أخاها رغم ما تعرفُهُ عنهُ من قوةٍ وبطشٍ ..

ـ يا عدوَّ الله . أتضربنى على إيمانى بالله الأحدِ ؟

إلا ما كنتَ فاعلا .. فافعل .. فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

وتزداد ثورَةُ (عمرَ) ويمد يده يريدُ أن ينتزعَ الصحيفَةَ من أخته .. لكنها تتمسكُ بها رافضةً .. وتدعوه للاغتسال والتطهرِ قبل أن يلمسها ..

ويمتثل (عمرُ) ويذهبُ ليغتسلَ ، ثم يعود ليقرأ ما فى الصحيفةِ . . .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه :1- 8]

ويختنق صوتُ (عمر) بالدموعِ وهو يقول : ـ "لا ينبغى لمن هذه آياته ، أن يكون له شريك يُعْبَدُ معه .. دلونى على محمد".

وفى (دار الأرقمِ) وأمام صحابةِ رسولِ الله وكانوا وقتها تسعةً وخمسين رجلا ... نطق عمر بنُ الخطابِ بالشهادةِ ...

وسط الفَرحةِ الغامرةِ التى عمتْ المسلمين ومعهم نبيُّهم ـ توجه (عمرُ) بالسؤال إلى الرسولِ عليه السلام ..

ـ "ألسنا على الحق فى مماتنا ومحيانا ؟؟"

ويجيبه الرسولُ : "بلى يا عمر ، والذى نفسى بيده إنكم لعلى الحق إن متم وإن حييتم" ..

قال (عمر) فى حماس : "ففيم الاختفاءُ إذن .. ؟ والذى بعثك بالحق لتخرجنّ ولنخرجنّ معك" ..

هكذا كان دخولُ (ابن الخطابِ) فى الإسلامِ بدايةَ مرحلةٍ جديدةٍ وخطيرةٍ فى تاريخِ الدعوة ..

لم يعد المسلمون يستخفُون ومعهم نبيُّهم فى شعابِ مكةَ ليصلوا .. بل بدأوا ـ وأولهم عمر بنُ الخطاب ـ يجهرون بإسلامهم .. حتى أنهم أصبحوا يصلون فى الكعبةِ على مرأى من أقطاب الكفر والشّركِ الذين أصبحوا يهابون المسلمين و (عمر) معهم .. إلى جانب النبى عليه السلامُ ..

وقف (عمر ابنُ الخطاب) وزيرًا .. ومستشارًا .. ومعاونًا .. ومدافعًا عن الإسلام بالقول .. والقتال .. قرّبه النبى منه لَمَّا رأى فيه التقوى ، وحسنَ الإيمانِ ، والذكاء وقوة الحجة والتواضع ، والشجاعة فى إبداء الرأى .. هذه الشجاعةُ التى جعلته يناقش النبىَّ فى آرائه ويطرح عليه البدائل .. هو شىء لم يكن يجرؤ عليه باقى الصحابةِ .. وكان هذا يسعد النبىَّ ويَسُره .. حتى أنه أخذ برأى عمر مرات كثيرة لما لمس فى رأيه حجةً قويةً ومنطقا وعقلانيةً ..

ولما رحل النبى وجلس (أبو بكر) على مقعدِ الخلافةِ اقتدى بمعلمه النبىِّ رسولِ الإسلام ، واتخذ من (عمرَ بنِ الخطابِ) وزيرًا أول له يستشيره ويستفتيه ..

ولم لا ؟ .. وقد كانت الخلافةُ قريبةً منه يومَ وفاةِ الرسولِ عندما بسط (أبو بكر) إليه يدَه مبايعًا فى السقيفةِ .. يومها صاح (عمرُ) : بل إياك نبايع يا أبا بكر .. فأنت أفضلُ منى . فقال أبو بكر "أنت أقوى منى يا عمرُ" ..

فرد (عمر) بتواضع الأتقياء : إن قوتى لك مع فضلك يا أبا بكر ... وقد كان ..

وها هى ذى دورة الزمن تدور .. وها هــو ذا (أبـو بكـر) يشعر بدنوِّ أجلهِ ... وها هى ذى أمة الإسلام أول شـواغله فكان (عمرُ) هو أول الأسمـاء المطروحـة لتحمـل المسئوليةِ ويتقبل (عمرُ) الأمرَ كارها .. فهو عازف عن الخلافـةِ كـاره للإمارةِ .. لكنه لا يملك أن يعتذر عن هذا التكليف ..

ويوم تولى هذه المسئوليَةَ وقف خطيبا ...

"أيها الناسُ .. إنى قـد وليـت عليكـم ولـولا رجـاء أن أكون خيرَكم لكم .. وأقواكم عليكم .. وأشدكَم اضطلاعـا بأموركم مـا توليـت ذلـك منكـم . ولكفـى عمـرَ انتظارُ الحساب" ...

هكذا لم تكن إمارة المسلمين عند عمر منصبـا ولا جاهـا ولا ثـراء ولا سـلطانًا .. وكـل مـا كـان يخشاه عمـر هـو (الحساب) .. فماذا لو ظُلم أحدٌ .. ماذا لـو جـاع أحـدٌ مـن رعاياه .. ماذا لو .. قال يوما لعبد الرحمن بنِ عوفٍ :

ـ "يا عبدَ الرحمن .. لقد لنت للنـاسِ حتـى خشـيت الله فى اللين ، ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشـدة ، وأيـم الله لأنا أشد منهم فَرَقًا(*) وخوفا فأين المخرجُ" ..

(*) فرقا يعنى خوفا .

وظل يبكى وينتحب حتى قال له (عبدُ الرحمن بنُ عوف): "أفٍّ لهم من بعدِك" ...

وكان (ابنُ عوفٍ) يقصد أن الحكامَ الذين سيأتون بعد ابن الخطاب سيتعبون كثيرا، فمن في مثلِ عدله وتقواه، وصلاحه، ونزاهته، وصدقه، وبره، وإنسانيته ..

كان الحكْم عندَ (عمر بنِ الخطاب) مسئوليةً .. والمسئوليةُ تعنى عنده القدوةَ ..

تلقى يوما هديةً من (عتبة بنِ فرقد) واليه على أذربيجان فسأل حاملها: ما هذا .. ؟ ..

ـ قال الرجل: "هى حلوى يصنعها أهلُ أذربيجان".

فتذوقها عمر فوجد لها طعما شهيا .. ثم سأل الرجل:

ـ أكل المسلمين هناك يطعمون هذا ... ؟

فأجابه الرجل: لا .. إنما هو طعامُ الخاصةِ ..

فأعاد (عمر) لفَّ الهديةِ وردها للرجلِ وقال:

ـ أين بعيرُكَ ؟؟ .. خذ هذا وارجع به (لعتبة) وأخبره أن (عمر) يقولُ له: اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه ...

هذا هو (عمر) الذى رفع شعارًا يقول :

"بئس الوالى إن أنا طعمت طيبها، وتركت للناس عِظَامها" .

هكذا حرّم (عمرُ) على نفسه أكلَ طعامٍ لا يأكلُه كلُّ المسلمين .. وهكذا فعل مع أهلِهِ وأسرتِهِ .. فلم يكن يمنحهم امتيازًا .. ولا يخصهم بخيرٍ .. وكانوا يعيشون فى مستوى أدنى من باقى المسلمين .. مخافة أن يقولَ الناسُ : خص (عمر) أهلَه بشىء دون غيرهم ...

خرج (عمر) يوما إلى السوق يستطلع أحوال الناسِ فرأى بعضَ الإبل السمانِ المعروضةِ للبيع فسأل عن صاحبها ، وعرف أنها لابنه (عبد الله بن عمر) .. فأرسل إليه ليسأله .. فأجابه (عبد الله) بأن هذه الإبل كانت يومَ اشتراها إبلا ضعيفةً نحيلةً ، فتعهدها بالرعايةِ والطعامِ حتى سمنت فعرضها للبيع ..

وخشى (عمر) أن تكون هذه الإبلُ مقدَّمةً فى الرعى والسقيا لأنها إبلُ ابن أمير المؤمنين .. فأمر ابنَه فباعها وأخذ رأسماله ، ثم رد الربح لبيت مال المسلمين ..

اتسعت دولة الإسلامِ فى عهدِ (عمر) ـ والذى استمر ما يزيد على عشرة أعوام ـ فوصلت رايةُ الإسلامِ إلى أفغانستان شرقا .. وضمت وسط آسيا والعراق والشام ومصر .. وكان ضروريا أن يكلف ولاةً يعاونونه ويمثلونه فى هذه البلادِ ، فيجبون الضرائبَ ويحكمون بين الناسِ ، ويعلمونهم أمورَ دينهم .. وكان يعتبر نفسَهُ مسئولاً عن أى خطأ يرتكبه أى من هؤلاء الولاةِ .. علم بها (عمر) أو لم يعلم ، لهذا كان شديدَ الحذر فى اختيارهم ، يحاول أن يجد منْ يكون على مستواه فى التقوى والحزم والرأفةِ والخوفِ على الناسِ .. قال يوما لأصحابهِ : "أرأيتم إذا استعملت عليكم خيرَ من أعلم ، ثم أمرته بالعدل .. أيبرئ ذلك ذمتى ؟ . . .

قالوا : نعم ..

قال لهم عمر : كلا .. حتى أنظر فى عمله .. أعَمِلَ بما أمرته أم لا .. أيما عامل لى ظلم أحدًا ، وبلغتنى مظلمته فلم أغيِّرها فأنا ظلمته" .

لله درك يا (عمر) ... يا فاروق الإسلام .. أيها الحاكم

الذى لم ولن يجود الزمان بمثلك .. عادلا حكيمـا يختار مِنْ أصحابِهِ من يثقُ فى قوته وصلاحِهِ وعدلِه وحكمتِه ورحمتِـه ليوليه على الناسِ .. وكان ينهاهم عن أربع حتـى يستقيم لهم أمرهم ...

لا تركبْ دابةً مطهمةً .. لا تلبس ثوبا رقيقـا .. لا تـأكل طعاما رافها .. لا تغلق بابك دون حوائج الناس ..

إذن هو يريدهم متواضعين متقشفين قنوعين يعيشون من أجل الناسِ ولخدمةِ الناسِ ... فهو يريد هذا الوالى كما قال يوما : "رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بـدا وكأنـه أميرهم، وإذا كـان فيـهم وهـو أمـيرهم بـدا وكأنـه واحـد منهم" ...

ولعل قصة (عمر بنِ الخطابِ) مـع المصرى الـذى جـاء يشكو ابن الوالى (عمرُ بن العاص) لخيرُ دليـلٍ علـى قـوةِ هذا الرجلِ.

فقد جاء مصرى إلى أمير المؤمنين عمر يشـكو لـه (محمدَ بن عمرو بن العاص) فقد فاز المصرى على ابن الوالى فى سباق بينهما فما كان من (محمد) بن (عمرو بـن العـاص)

إلا أن ضربَ المصرىَّ بالسَّوطِ ، وهو يقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين ..

فأرسل (عمر) يستدعى (عمر بنَ العاصِ) وولدَه ويعطى المصرى سوطَه .. ويقول له : اضرب ابن الأكرمين ..

ويأخذ المصرى السَّوطَ من يد (عمر) وينهال على (محمد) ضربا و (عمر) يقول له : اضرب ابن الأكرمين ..

ولما انتهى المصرى .. قال له عمر :

اجعلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بسلطانه واعتذر المصرى .. لأنه ضرب منْ ضربه ... وهذا يكفيه .

فالتفت (عمر) إلى ابن العاص وقال : يا عمرو متى استعبدتم الناسَ وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا .. أليس هذا هو أول حق للإنسان فى الحياة ... أن يكون الإنسان حرًا ..

اتسعت الإمبراطوريةُ الإسلاميةُ على يد ابن الخطاب فكان لابد أن يؤسس (ديوانا) لضبط المالِ .. وكان أول من أحصى عددَ المسلمين كى يفرضَ لكلٍّ منهم عطاء يناسبه .. وكان لابد أن يعيّن القضاةَ لفض المنازعات بين الناسِ .

وشعر (عمر) أن التاريخ لابد وأن يسجّلِ فتوحات

المسلمين وانتصاراتِهم .. ورأى أن يكون هناك تأريخ إسلاميٌّ يبدأ مع بدايةِ العامِ الذى هاجر فيه النبىُّ عليه السلامُ من مكةَ إلى المدينةِ .. وهو التأريخ الذى نعرفه (بالهجرى) ..

وهكذا أرسى (عمر) دعائم دولةٍ قويةٍ ووضع لها ركائزَ نموِّها وازدهارِها ..

خرج (عمر) لحج بيت الله الحرام فى العام الثالث والعشرين للهجرةِ .. وكان قد مضى عليه عشرة أعوام وهو أميرٌ للمؤمنين .. لم يكن قد طعن فى السّن .. فعمره لم يكن قد تجاوز الأربع والستين .. لكن عبء المسئولية كان قد أثقل كاهِلَهُ ...

كان صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذى الحجة ، وقد وقف عمرُ فى المحراب يصلى وإذا بشخص يتّجه إليهِ وقد أخفى فى طيات ثوبه شيئا . وما إن اقترب من (عمر) حتى أخرج خنجرا ذا طرفين وطعنه به ثلاث طعنات ولاذ بالفرار .. وتصايح المسلمون وطاردوه فطعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة .. فألقى عليه (عبد الله بن

عوف) ثوبا فوقع على الأرض ثم طعن نفسه طعنةً قاتلةً .. لقد أدرك أنه مقتول مقتول ..

حُمل ابنُ الخطابِ إلى بيتِه مضرجا بدمه .. وسأل عن قاتله فقالوا له : هو أبو لؤلؤة وهو (فتى مجوسى الأصلِ) .. غلام المغيرة بنِ شعبة .

فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى إلا على يد رجل يدعى الإيمان ولم يسجد لله سجلةً ..

هكذا كانت نهايةُ هذا الرجلِ العظيمِ الذى لم ولن يجود الزمانُ بمثله أبدا .. بعد أن أوصى بأن يكون الأمر شورى بين صحابةِ رسولِ الله .

ورفض أن يختار خليفةً له .. فالأمرُ شورى بينهم ..

3

قصص المبشرون بالجنة

رجل تستحي منه الملائكة

سلوى العنانى





دار الطائف

رجل تستحي منه الملائكة

(عثمانُ بنُ عفان)

لاشك أن عيني (أبي بكر) كانت تغرورقانِ بالدمعِ لحظة وضع يده في يمين رسول الله معلنا إسلامَه وإيمانه .. ولابد أن قلبه كان ينتفض بين ضلوعه لحظة عانقه النبي ودعا له ..

ولابد أن عقل أبي بكر كان يعمل في سرعةٍ فائقةٍ ساعةَ غادر بيتَ النبي بعد أن شهد (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فقد كان يعرف أن مهمته لم تنته عند هذا .. لكنها بدأت .

نعم .. إن مسئوليةً كبيرةً وقعت الآن على عاتق (أبي بكر) فقد أصبح شريكا في مهمةِ نشر الدعوةِ .

لابد أن أبا بكر انفرد بنفسه ساعةً أو بعض ساعةٍ يستعرض أسماء هذه المجموعةِ من أصدقائه .. كان هؤلاء الأصدقاءُ من الأشراف والأثرياء والوجهاء وصفوةِ المجتمع

القرشيُّ .. ولم يتردد (أبو بكر) كثيرًا واتجه إليهم ..

وكان كلما جلس إلى أحدهم وحدثه عن محمد رأى منه قبولاً وموافقةً .. فهم جميعا يعرفون من هو (محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب) يعرفون أمانته وصدقه ونقاءه وطُهره .

وإلى بيت النبى توجه هؤلاء واحدًا بعد الآخر ... فمن هم هؤلاء الصفوةُ ؟ .

إنهم (عبدُ الرحمن بن عوف) و (طلحةُ بن عبيد الله) و(عثمانُ بن عفان) و (الزبير بن العوام) و (أبو عبيدةَ بن الجراح) .. ويسجل التاريخ هذه الأسماءَ الخمسة كأول من أسلم من الرجال بعد أبى بكر بن قحافة (الصدّيق) .

تقدم عثمان بن عفان من النبى ونطق بين يديه بالشهادةِ وعاهده على المؤازرة والتأييدِ .

لكن كيف يُقْدِمُ رجل مثل (عثمان) على هذا وهو التاجر الثرى الواسع الثراء الذى اعتادَ رغدَ العيشِ ولين الفراشِ وجيِّد الطعامِ .. كيف يقدم على أمر يعلم أنه يؤثِّر على تجارته وثروته ، كما يعلم كيف سيكون صداه بين

أشرافِ قريشٍ وزعمائها ؟ ..

لقد آمن الرجلُ ..

نعم .. آمن عثمان بأنَّ ما جاء به (محمد) هو الحقُّ والخيرُ واقتنع بأن ما يؤمن به أهــل فى قريـش وغيرهـا إنما هـو الباطلُ والزيفُ .. لقد مـلأ النـورُ قلبـه وأضـاء لـه طريـقَ الحقِّ ..

فهل تصمتُ قريشٌ على ما فعل (عثمان) ؟ هــل تتركـه يصبأ[1] ويترك دين آبائه وأجداده ؟

ها هو ذا (الحكــم بــن أبــى العــاص) يوثـق ابـن أخيـه (عثمان ابن عفان) بالسلاسل ويصرخ فى وجهه ..

ـ أترغب عن ملة آبائك إلى ديـن محـدث ؟ والله لا أحـل وثاقك أبدًا حتى تدعَ ما أنت عليه من هذا الدينِ .

فيجيبه (عثمان) وقد منحه إيمانه قوةً تفوق أى قوةٍ يـهدده بها عمُّه :

ـ والله لا أَدَعُ دين الله أبدًا .. ولا أفارقه .

---

(1) صبا : أى ترك عبادة الأصنام واعتنق دينا آخر .

ويحاصره الناسُ ويقاطعون تجارته آملين أن يرده هذا عن الدين الذى آمن به .. لكن هيهات .. فقد كان تمسكه بدينه يفوق حرصَه على حياته .

تبارى كفارُ قريشٍ فى تعذيبِ المسلمين الأوائل .. فرأى رسول الله أن يهاجر بعضُ هؤلاءِ إلى الحبشة فرارًا بدينهم .. وكان (عثمان بن عفان) وزوجته السيدة (رقية) ابنة النبى محمد من بين من هاجروا فى هذه الهجرةِ الأولى .

لم يكن سهلا على نفسِ رسولِ الله أن يفارقه أحبابُه من المسلمين الأوائل الذين أيدوه وآزروه منذ اللحظةِ الأولى .

فوقف يودع ابنته (رقية) وزوجَها (عثمان) وهو يقول :

"إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد نبى الله لوط" ..

ولما استقرت الأحوالُ فى مكةَ .. عاد إليها (عثمان) وزوجتُه وباقى المسلمين ثم هاجروا بعد ذلك إلى (يثرب) .

ها هى ذى حياة المسلمين قد استقرت فى المدينة المنورة .. وها هو ذا النبى يضع لهذا المجتمع أسسًا وقواعدَ تضمن له

أمنه واستقراره فيؤاخى بين المهاجرين والأنصار .. لكن كان لابد من وجود مصدرٍ دائم وآمن من المياه العذبة ..

وكان سكان (يثرب) يشربون من بئر تسمى (بئر رومة) يمتلكها رجل يهودى .. ويبيع ماءها للناس .

وتمنى النبى لو اشتراها أحد الأثرياء ووهبها للمسلمين ..

ويبادر (عثمان بن عفان) ويساوم اليهودى الذى لم يوافق إلا على بيع نصفها بثمن باهظ ..

ويهب (ابن عفان) ماء البئر للناس دون مقابل فى الأيام التى اتفق عليها مع اليهودى .. فكان المسلمون يشربون ويحتفظون بما يحتاجون إليه فى اليوم التالى .. فجاء اليهودى إلى (عثمان) وقد رأى أنه لا يبيع ماء فى الأيام المخصصة له .. وقال لعثمان :

ـ أفسدت علىَّ البئر .. اشترِ النصفَ الآخر ..

ويشترى (عثمان) باقى البئر ويتركها سبيلا للمسلمين ..

كان من الضرورى أن يبنى المسلمون لهم مسجدًا بعد أن

استقر بهم المقام فى (المدينة) .. ويتعاون الصحابةُ ومعهم النبىُّ الكريمُ ويبنون مسجدا كان يكفيهم وقتها .. ويدخل الناسُ فى دين الله أفواجا .. ويضيق بهم المسجدُ .. ويتمنى رسولُ الله أن يضم أرضا مجاورة فيضيفها إلى مساحةِ المسجدِ ..

ويسارع (عثمان بن عفان) فيدفع ثمنَ الأرض ويهبها للمسجدِ .

فتح الله (مكةَ) أمام المسلمين ـ فتحا مبينا ـ وتوالى إسلام القبائل فى شبهِ الجزيرةِ العربيةِ ، ودانت كلها للدين الجديد ، وآمنت بمحمد نبيا حتى وصل نفوذ الإسلام إلى حدود دولة الرومِ فى الشام .

وتصل الأنباء يوما إلى مدينةِ رسول الله أن جيوش الرومِ تحتشد لغزو حدود العرب الشمالية ..

كان هذا فى صيف العام التاسع الهجرى ..

وكان عاما جافا جدبا .. لم تَجُدْ فيه السماء بمطرٍ أو غيثٍ ..

وكان السفر إلى بلاد الشام طويلا ويحتاج إلى مؤن وعتاد .. وهبَّ المسلمون يتبرعون .. كل بما يملك .. المرأة بحليِّها والرجل بدابته وسلاحه .. وذوو المال بمالهم .

لكن .. هل يكفي هذا لإعداد جيشٍ يقابل جحافل الروم ؟؟

لقد خرج فقراء المسلمين يريدون القتالَ .. إما النصر وإما الشهادة . لكن كيف ؟

وأطلق النبى عليه السلامُ صيحته :

ـ "من يجهزُ هؤلاءِ ويغفرُ الله له ؟" ..

ويسارع (عثمان بن عفان) ويلبى نداءَ الرسولِ ويجهز الجيشَ كله .. (تسعمائة وأربعين بعيرا ، وستين فرسًا أتم بها الألف) .

ثم جاء عثمان إلى النبى بعشرة آلاف دينار بجعل الرسولُ ﷺ يقلبها بيده ويقول :

ـ "غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما

هو كائن إلى يومِ القيامةِ" .

كانت خلافةُ (أبى بكر الصديق) .

وأصابَ المدينةَ قحطٌ وجفافٌ ..

وها هى ذى قافلة (عثمان بن عفان) قد عادت من الشام

تحمل القمحَ والحبوب والزيتَ والثيابَ .

ويُهرعُ التجارُ إلى (عثمان) يساومونه على شراءِ قافلته .

سأل عثمان : كم تربحوننى ؟

قالوا : الدرهم درهمين .

قال : أعطيت زيادة .

قالوا : أربعة دراهم .

قال : أعطيت أكثر .

قالوا : نربحك خمسة .

قال : أعطيت أكثر .

وتعجب التجارُ .. فليس فى المدينةِ غيرهُم .. فمن ذا

الذى أعطاك أكثر ؟

قال (عثمان بنُ عفان) :

"إن الله أعطانى بكل درهم عشرةً .. فهل تزيدون ؟"

وأعلن على مسمع ومرأى من الناس :

- إنى أشهد الله أنى جعلت ما حملتْ هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين ..

هذا هو (عثمان بن عفان) رجل الجود والعطاء غير المحدود وفوق هذا الجودِ والسخاء كان (عثمان) مثالا للحياءِ ..

وكثيرا ما أشاد النبيُّ عليه السلام بحياء (عثمان) وعنه عليه السلام أنه قال :

"أرحم أمتى أبو بكر ... وأشدها فى دين الله عمر ... وأشدها حياء عثمان" ..

يُروى عن (عائشة) أمِّ المؤمنين أنها قالت :

استأذن (أبو بكر) يوما فى الدخول على النبى وكان

مضطجعا فأذن له وتحدث مع النبى ثم انصرف .

ثم استأذن (عمر) .. ومكث وقتا مع النبى ثم مضى .

ثم استأذن (عثمان) .. فتهيأ الرسولُ لمقدمه بعد أن كان مضطجعا وأسبل جلبابه فوقَ ساقيه قبل أن يدخل عليه (عثمان) .

ولما سألته السيدةُ (عائشة) : يا رسول الله .. لم أرك تهيأت (لأبى بكر) أو (لعمر) كما تهيأت (لعثمان) ؟!

فأجابها الرسول :

"إن عثمان رجل حيى ، ولو أذنت له وأنا مضطجع لاستحيا أن يدخل ولرجع دون أن أقضى له الحاجةَ التى جاء من أجلها .

يا عائشةُ .. ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكةُ ؟"

بعد دخول (عثمان) بن عفان فى دين الإسلام زوَّجه النبى عليه السلام ابنته (رقيَّة) .. فلمَّا توفاها الله زوجه من ابنته الثانية (أم كلثوم) .. وماتت أم كلثوم .. وتجاوز النبى

أحزانه بعد فقد ابنتيه وتوجه إلى (عثمان) بالقول ..

"لو أن لنا ثالثة لزوجناك إياها" ..

لهذا سُمى (عثمان بن عفان) (بذى النورين) حيث اقترن باثنتين من بنات النبى عليه السلام .

مات أميرُ المؤمنين (عمرُ بن الخطاب) متأثرا بجراحه بعد أن تلقى الطعنات الغادرةَ من المجوسى (أبو لؤلؤة) .. واجتمع مجلس الشورى المكون من الصحابة الستة الذين مات النبيُّ عليه السلام وهو راض عنهم ليختاروا من بينهم خليفة للمسلمين .

ويقع الاختيار على ذى النورين (عثمان بن عفان) ليتحمل مسئولية الخلافةِ وقد ناهز عمرهُ سبعين عاما .

فكيف استقبلها شيخُ الجود والحياء ؟ .

قال فى خطبةِ البيعة :

"إن الدنيا طويت على الغرور

فلا تغرنكم الحياةُ الدنيا .. ولا يغرنكم بالله الغَرُور"

فهل يخشى الغُرورَ رجلٌ فى مثل أخلاقِ (عثمان) ؟

وتتحرك الفتنُ فى طول البلاد وعرضها .. فقد ظن المتربصون أن وفاة (عمر بن الخطاب) تعنى ضعف الدولة وتفكك أوصالها كما رأوا فى الخليفة الجديد (عثمان بن عفان) رجلا جاوز السبعين معروفا عنه الحياءُ ورقة الخصالِ ، فازدادت أطماعُهم .

لكن (ابن عفان) أثبت لهؤلاء أن دولةَ الإسلام مازالت على عهدها من القوةِ والفتوةِ .. فأرسل حملاته إلى أذربيجان وأرمينية والإسكندرية وفلسطين وغيرها ، ولم تقتصر مهمةُ هذه الحملات على إطفاء نار الفتنة والقضاء على الحركات الانفصاليةِ فقط .. بل مضت أغلبُها تؤمّن حدودَ الدولَةِ ـ بل الإمبراطوريَة الإسلامية ـ وتُوغل فى توسعاتها لتمنع تكرار مثل هذه المناوشات فى المستقبل .

ولمجابَهة الأسطولِ البحرى للرومان ..أمر الخليفةُ (عثمان بن عفان) بإعداد أسطول بحرى لأول مرة .. استطاع أن يحقق انتصارًا باهرًا فى موقعَةِ (ذات الصوارى) ..

وهكذا شهد عصرُ (عثمان) مولدَ البحريَةِ الإسلاميةِ ..

هل نذكر اليومَ صاحب الفضلِ فى هذه الوحدةِ التى لا تشوبها شائبةٌ فى النص القرآنى على امتداد العالم الإسلامى..

هل يذكر أحد من الذى جمع نُسَخَ المصحف الشريف المختلفةَ ثم أمر بكتابة مصحفٍ واحدٍ صحيح يقوم بمراجعته وتحقيقه مجموعة من الصحابَة حفظة كتاب الله ؟ .. وهل نذكر صاحبَ الأمر بكتابة نسخ متعددة تطابق هذه النسخة الموثقة لتوزيعها على كل أجزاء الدولةِ الإسلاميةِ فيتوحد فيما بينها النص القرآنىُّ كتابةً ونطقا ؟

إنه أميرُ المؤمنين (عثمان بنُ عفان) الذى أقلقه ما علم من اختلاف بين الشعوب الإسلاميةِ فى قراءتها للقرآن الكريمِ .

وكان هذا الإنجازُ الخالدُ الذى تنطق به كل نسخةٍ نقرأ فيها اليومَ من المصحفِ الشريف والذى عرف (بمصحف عثمان) .

وتمضى سنوات حكم (ذى النورين) .. هذا الصحابى

الجليل والخليفة العظيم لتزيد على عشر سنوات تسجل له إنجازا بعد آخر وانتصارًا تلو آخر ..

إلا أن الفتن والدسائس كانت قد أخذت مكانها في هذه الدولةِ الواسعةِ .. وطرحتْ على ساحةِ الحكمِ مجموعةً من الخلافات التى انتهت بأن حاصر بعضُ الغوغاءِ بيتَ (عثمان) لعدة أيامٍ .. إلى أن قتلوه ..

وصعدت روحُ الصحابى الجليل .. رمز الجود والعطاءِ والبذلِ والحياءِ .. صعدت روحه إلى بارئها .. ليسكن (عثمان ابن عفان) جنةَ الخلدِ مع الصديقين والشهداء فقد كان رضى الله عنه من{وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَواْ وَأَحْسَنُوا} [المائدة : 93] صدق الله العظيم.

4

قصص المبشرون بالجنة

التلميذ العظيم

سلوى العنانى





دار اللطائف

التلميذ العظيم

(الإمامُ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ)

هذا فتى هاشميُّ الأبوين .

أبوه (أبو طالب بنُ عبد المطلب بنِ هاشمٍ بنِ عبدِ مناف)

وأُمهُ (فاطمةُ بنتُ أسدٍ بنِ هاشم بنِ عبدِ منافٍ) .

في هذا البيتِ الكريم قضى (النبيُّ محمدٌ) سنواتٍ طويلةً من شبابِه وصباه .. وجد من عمّهِ (أبي طالب) عوضا عن الأب والجد اللذين فقدهما .. كما وجد قلبَ الأمِّ عند فاطمةَ زوجةِ عمه وبنت عم أبيه التي أولته حنانَها ورعايتها ..

جلس (محمدٌ) يوما إلى الطعام مع أسرةِ عمّه ، فلاحظ علاماتِ الإرهاقِ على زوجةِ عمّه ، فسألها إن كانت تنتظر مولودًا ؟ .. وتوجه بالحديث لعمّه ..

ـ "إن كانت حاملا أنثى فزوجنيها" .

فقاله له عمه أبو طالب : "إن كان ذكرا فهو لك عبدٌ .. وإن كانت أنثى فهى لك زوجة" ..

فلما جاء المولودُ ذكرا فرح به محمدٌ وأسماه (عليا) .

كان (محمدٌ) يصر دائما على أن يكونَ له عملٌ .. فهو يأبى على نفسه أن يعيش عالةً على عمّه .. فخرج يرعى الأغنامَ فى ضواحى (مكةَ) إلى أن شبَّ ونما .. فطلب أن يرافقَ عمّه فى رحلة التجارة إلى الشامِ .. وعُرف عن (محمدٍ) الأمانة والصدق والبر ، فأستأمنْته (خديجةُ بنت خويلدٍ) على مالها ، فخرج به فى تجارة ، وعاد بخيرٍ كثيرٍ فلما رأت منه جميلَ الخصالِ تزوجته .. وانتقل للحياة معها تاركاً بيت عمّه (أبى طالبَ) .

كان (محمد) بارًا بعمه وبأسرته .. دائمَ الزيارةِ له .. مانحا كل حبه ورعايته (لعلى) .. الفتى الصغير الذى كان شديدَ التعلق بابن عمه (محمد) .

تعرضتْ قريش لأزمةٍ ومحنةٍ .. فقال (محمد) لعمه (العباس):

ـ "إن أخاك (أبا طالب) كثيرُ العيالِ ، وقد أصاب الناسَ

ما ترى من هذه الأزمةِ .. فانطلقْ بنا إليه فلنخففْ عنه من عيالِه .. آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فتكفُلهما عنه" .

وضم (محمد) (عليا) إلى كنفه ..

وضم (العباس) إليه (جعفرا) .

فى بيت (محمدٍ) عاش (عليٌّ) حياةً سعيدةً .. فقد كان متعلقا بابنِ عمه منذ تفتحت عيناه على الحياةِ .. فكم داعبه صغيرا وكم لاعبه وعلّمه وأطعمه .. وهو يتعلم منه اليوم مبادئ الرجولةِ ودروسَ الحياةِ ..

وجاء الوحيُ إلى (محمد عليه السلامُ) أن {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : 1 ـ 2] .

دخل (عليٌّ) البيتَ فرأى (محمدا عليه السلام) واقفا ومن خلفِه وقفتْ (خديجةُ) .. تقومُ مع قيامِه ، وتركعُ مع ركوعِهِ .. وسمعهما يتلوان كلامًا لم يسبقْ له أن سَمِعَهُ ولما انتهيا مما كانا فيه سألهما ..

ـ "لمن تسجدان ؟ "

فأجابه محمد :

"إنما نسجد لله الذى بعثنى نبيا ، وأمرنى أن أدعو الناسَ إليه" .

ودعا (محمد) (عليًا) إلى الدخول فى الديـن الجديـد وإلى عبادة الله الواحد الذى لا شريك له ..

وقرأ (محمد) بعض ما أنزل إليه من الذكرِ الحكيمِ فانبهرَ (علىٌّ) من سحرِ البيانِ وجمالِ المعنى ، ولكنه استأذن فى أن يشاورَ أباه فى أمرِ هذا الدينِ قبل أن يُؤمنَ به .

قضى (علىٌّ) ليلته مؤرّقا يفكّر فيما سمعه من ابن عمـه ، وفى الصباحِ أعلن إسلامَه دونَ الرجوعِ إلى أبيه .. وقال :

ـ "لقد خلقنى الله من غيرِ أن يُشاورَ (أبا طـالب) ، فمـا حاجتى أنا إلى مشاورته لأعبدَ الله ؟ " .

هكذا أصبح (علىٌّ) ثانى من دخل الإسلامَ بعد خديجةَ .. وأولَ صبىٍّ يعتنقُ هذا الدينَ .

كانت ليلــةً مقمـرةً .. نسـيمها طيـب .. جلـس (محمـد) وبجانبه (علىٌّ) فى الخلاء يتأملان قدرةَ الله فى خلقِ الكــونِ

ويسجدان شكرا له على نعمائه .. فمر بهما (أبو طالب) فسأل (محمدًا):

ـ "يا ابن أخى، ما هذا الدينُ الذى أراك تَدين به ؟" .

قال له (محمد) :

ـ "أى عم .. هذا دينُ الله ودينُ ملائكتِه ودينُ رسلِه ودينُ أبينا (إبراهيم) .. بعثنى الله به رسولاً إلى العبادِ وأنت أحقُّ من بذلت له النصيحة ودعوتُه إلى الهدى وأحقُّ من أجابنى إليه وأعاننى عليه" .

فأقسم (أبو طالب) أن يحمى ابن أخيه ما بقى حيا مهما يكن من أمرٍ .. فلا يَمَسُّه أحدٌ بسوءٍ .

ثم سأل (عليا) :

ـ "ما هذا الدينُ الذى أنتَ عليه يا بنىَّ ؟ " .

فأجابه (علىٌّ) :

ـ "يا أبت .. آمنت بالله وبرسولِهِ وصدقتُهُ بما جاء به، وصليتُ معه واتَّبعتُه" .

فقال أبو طالب لابنه (علىٍّ) .

ـ "إنه لم يدْعُك إلا إلى الخير فالزمْهُ".

يا له من أدبٍ فى الحوارِ، وصدقٍ فى الإيمان من فتى صغيرٍ لم يبلغ الرابعة عشرة ... هداه فكرهُ إلى الطريقِ القويمِ ودله قلبُه على دينِ الصدقِ .. آمن بالنبى ولزمه كما يلزمُ الظلُّ صاحبه .. يحفظ عنه التنزيل، ويأخذ منه الحديثَ والعملَ .. يدافع عنه فى القتالِ، وينصره على أعدائه فى السلم.

حفظ الله (عليا) فلم ينحن لصنم أبدًا .. لم ينحن لغير الله ـ فكرَّمَ الله وجهَهُ ـ وكان أولَ من أسلمَ من الفتيانِ وأولَ من صلى خلف النبى ـ فكرَّم الله وجهَهُ ـ.

عرف عنه الوسَامَة والملاحة وقوة البدن وفصاحة اللسان والبلاغة والبيان .. كان محاورًا ذكيا قوى الحجةِ جذابَ الحديثِ .. أعطاه الإيمانُ ثقةً بنفسه وبربه فحافظ على مكارمِ الأخلاقِ، وكان أشدَّ الناسِ قربا من رسولِ الله عليه السلامُ.

وتمضى الأيامُ بالمسلمين فى (مكةَ) يعانون اضطهاد الكفار وتعذيبَهم لهم وتجويعَهم وترويعَهم .. فهاجر

بعضُهم إلى (الحبشةِ) وبَعضُهم إلى (يثربَ) فرارًا بدينهم من هذا البطشِ .. هاجروا متفرقينَ حتى لا يلْفتوا نظرَ أحدٍ إليهم .

لكن قريشا كانت تخشى من هجرةِ النبيِّ .. فهجرتُه تعنى انتشار دعوتِه وقوةَ أتباعِهِ وتدعيمَ أنصارِهِ .

واجتمع أقطابُ الكفر وأركانُ الوثنيةِ .. يفكرون فى وسيلةٍ للتخلص من صاحبِ الدعوةِ . .كبدايةٍ للقضاءِ على الدعوةِ .. وتفتق تفكيرُهم الشيطانىُّ عن وسيلةٍ تحقق غرضَهم وتُريحهم من متاعبِ هذا الدينِ الجديدِ ..

وكانت مؤامرتُهم تتلخص فى أن يختاروا من كل قبيلةٍ فارسا قويا مسلحا .. ثم يشترك هؤلاءِ جميعا فى قتلِ محمدٍ .. ويتفرق دمُه بينَ القبائلِ .. ويرضى أهلُه بالديةِ .

وصلت أخبارُ المؤامرةِ إلى النبيِّ .. وكان عددٌ كبيرٌ من أصحابه قد هاجروا إلى (يثربَ) .. إلا أن (محمدًا) كان ينتظرُ أن يأذنَ الله له بالهجرةِ ..

وجاء الإذنُ بالرحيلِ .

وكان لابد من الخديعةِ لتأمينِ رحيلِ النبيِّ الكريمِ الذى اختار موعدًا غيرَ مألوفٍ .. وخرج من باب خلفى لبيته ودعا (عليا) إلى النومِ مكانَه والتَّدثُّرِ ببردته الخضراءِ ليُوهم من يتلصصون على الدار بأن (محمدا) مازال نائما .. وتكون الفرصةُ كافيةً لابتعادِ المهاجرين عن (مكةَ) فى الطريقِ إلى (يثربَ) .

يالها من شجاعةٍ .. أن يقبل الفتى النومَ فى موضعٍ يعلم أنه هدفٌ لعصبة من المسلحين المتربصين !

يالها من ثقةٍ عظيمةٍ بالله .. ملأت قلبَ (علىٍّ) فجعلتْه يُقبلُ على هذا العملِ الفدائىِّ !

وياله من إيمانٍ صادقٍ ثابتٍ عميقٍ ! .

وكانت مفاجأةً لهؤلاء الفرسانِ المتربصين بالنبى عندما اكتشفوا أن النائمَ تحتَ البردةِ لم يكن (محمدًا) بل كان (عليا) .. الفتى الذى لم يبلغ العشرين من عمره ..

قضى (على) ثلاث ليال فى (مكةَ) أدى فيها الودائعَ التى كانت مع النبى إلى أصحابها .. ثم شد رحاله إلى يثربَ ليلحق بالنبى وصحبه من المهاجرين .

كانت (فاطمةُ) بنتُ محمد عليه السلامُ من السيدةِ خديجةَ رضى الله عنها قد بلغتْ سن الزواجِ .. وتمنى كل مسلم أن يرتبط بها ليكون له شرف مصاهرة أكرم خلق الله .. وكان النبى يسكت عن كل راغب فى هذه المصاهرةِ إلى أن جاء (على) بهذا الطلب .. فسُرَّ الرسول ، ووافق على تزويجها إياه على مهر قدره أربعمائة مثقالٍ فضة .

وفى ليلة زفاف (فاطمةَ) على (علىٍّ) أهداهما الرسول عليه السلام بساطا من صوف أبيض وقال لابنته :

- "والذى نفسى بيده لقد زوجتك فتى سعيدًا فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين" .

سأل النبىُّ يوما :

- يا (علىُّ) .. كيف أنت إذا زهد الناس فى الآخرةِ ورغبوا فى الدنيا وأكلوا التراث أكلا لمًّا وأحبوا المالَ حبا جما ؟"

قال (علىٌّ) :

- "أتركهم وما اختاروا ، وأختار الله ورسولَه والدارَ الآخرةَ وأصبرُ على مصيبات الدنيا وبلواها حتى ألحقَ بك

إن شاء الله تعالى" ..

قال الرسول :

ـ "صدقتَ .. اللهم افعل ذلك به" .

قدَّس (على) العمل .. ولم يستنكف منه بسيطا أو متواضعا .. فكان يغزل الصوف .. ويسقى الحدائقَ لأصحابها ويتاجر أحيانا فى السوقِ ..

إلا أن الحربَ والجهادَ فى سبيل الله كان أعظمَ ما قام به (علىٌّ) فقد شارك الرسولَ فى أغلبِ الغزواتِ ، وكان فتى القتال ورجلَ المواقف .

ويمرض النبىُّ عليه السلام مرضه الأخيرَ فى حياته ... وتشتدُّ عليه الحمى .. وتتعذر عليه الصلاةُ بالناسِ فيأمر (أبا بكر) ليتولى الإمامةَ ...

ويبقى (على) إلى جوار النبى يلازمه ، ويحاول أن يخفِّفَ عنه إلى أن تتحسن صحتُه ، فيخرج إلى المسجد معتمدًا على ولدى عمه (على بن أبى طالب) و (الفضل بن العباس) . ويشارك الناسَ الصلاةَ ويخطب فيهم ... ويفرح

المسلمون لخروج نبيّهم للصلاةِ ويظنونه قد شُفى .. ويعود كلٌّ إلى عمله .

إلا أنها كانت صحوةَ الموتِ .. فقد قُبض النبى فى هذا اليومِ ... الثامن من يونيه (630م) .

ويقف (عليٌّ) على تجهيزِ النبى ومعه (العباسُ بنُ عبدِ المطلب) وولداه (الفضل) و (قثم) و (أسامة بنُ زيد) مولى رسول الله وظلوا إلى جواره حتى أنزلوه قبره بعد أن ودّعه صحابته والأقربون وجمع هائل من المسلمين .

اعتكف (عليٌّ) فى منزله لا يغادره إلا لصلاة الجماعة وأقسم إلا يبارحَه حتى يفرغ من جمعِ القرآنِ كما تعلمه من رسول الله ..

ولما انتهى من هذه المهمةِ المقدسةِ خرج من بيتهِ فبايعَ (أبا بكر) خليفةً للمسلمين وظل إلى جواره .. يفتيه ويعطيه المشورةَ ..

وكان يومُ (عليٍّ) يتوزّعُ بين قراءةِ القرآن وتدبُّره .. ثم الخروج إلى الصلاةِ .. ما إن يفرغ منها حتى يتخذ لنفسه مكانا فى المسجدِ .. فيجيب على أسئلة الناس .. ويُفتى من

يسألُه .. ويفسر القرآنَ .. وكان يقول للناس :

ـ "اسألونى" .

ومن أقواله كرم الله وجهه :

"من كساه الحياءُ ثوبَهُ لا يرى الناسُ عيبَهُ" .

"من أصبح على الدنيا حزينا فقد أصبح لقضاء الله ساخطا" .

"العفافُ زينةُ الفقرِ .. والشكرُ زينةُ الغِنَى" .

ولما مات (أبو بكر) وتولى عمرُ بنُ الخطابِ الخلافةَ واصل (على) رسالته فى المشورة والفتوى وإرشاد الناسِ والحكمِ فى القضاءِ .. وكان (عمر) يأنس لرأيه وفتياه .. فإذا ما نصحه بغيرِ ما يرى أخذ بنصيحته ، ثم يطلق صيحتَه المشهورةَ :

ـ (لولا علىٌّ لهلك عمرُ) ...

ثم كان اغتيالُ أميرِ المؤمنين (عثمان بنِ عفان) بدايةَ عهدٍ من الفتنِ والصراعاتِ .. وجاء الإمامُ (علىٌّ) كرّم الله وجهه ليتحملَ مهمة شاقةً وخطيرةً ... فقد ظهر الخوارجُ

فى العراقِ وأعلن أهل الشامُ التمـرّدَ وانقسـم المسـلمون وتعدَّدت بينهم الصداماتُ العسكَريةُ .

كان فجرُ الجمعة الثـامن عشـر مـن رمضـان فـى العـام الأربعين للهجرة عندما ارتفع الصوتُ الندى القوىُّ يوقظ الناسَ فى طرقات الكوفة .. إنه صوت الإمام (علىٍّ) .

كانت فرحةُ الإمام بالذهـاب إلى المسـجد .. ومعـها هـذه النسمات الندية تجدد فى داخله إحساسا بـالقوة والفتـوة .. فها هو ذا فى طريقه إلى أحب الأماكن إلى قلبه حيث يـؤدى أحبَّ الأعمالِ إلى قلبِه .. وعنـد بـاب المسجد .. وقبـل أن يخلع الإمامُ (علىٌّ) نعليه .. داهمـه آثـمٌ مجـرمٌ فشـجَّ رأسَـه بسيفٍ مسمومٍ .

ويقادُ المجرمُ القاتلُ إلى الإمامِ .. فينظر إليـه وكأنـه يذكّـره بعدد المرات التى أكرمه فيها ويقول :

ـ "أحسنوا نُزُلَه ، وأكرموا مثـواه ، فـإن أعـشْ فأنـا أولى بدمِه قصاصا أو عفوا ، وإن أمتْ فألحقوه بى أخاصمه عنـد رب العـالمين ، ولا تقتلـوا بـى سـواه ، إن الله لا يحـب المعتدين" ..

هكذا كان الإمامُ (علىٌّ) حتى لحظاته الأخيرة حريصا على حدود الله ، حريصا على وحدة الأمة ، كارها لإراقةِ الدماء .

فماذا كانت وصيّةُ (علىٍّ) لبنيه ؟

أوصيكم بتقوى الله ربِّكم ، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبلِ الله جميعا ولا تفرقوا ، فإنى سمعت رسول الله عليه السلامُ يقول ..

"إن إصلاحَ البيْنِ أفضلُ من الصلاةِ والصيامِ" ..

وما إن مالت شمسُ نهارِ اليومِ التالى (السبت) حتى صعدت روحُ الإمامِ (علىٍّ) إلى بارئها راضيةً مرضيةً .

5

قصص المبشرون بالجنة

حبيب الرسول وجاره في الجنة

سلوى العناني





دار اللطائف

حبيب الرسول وجاره فى الجنة

(الزبيرُ بنُ العوامِ)

كان الإسلام مازال غريبا فى مكةَ .. لم يؤمن بـه إلا قلةٌ قليلةٌ تعيشُ فى عزلَةٍ فرضتها عليها قوى الطغيانِ .. فبوّروا تجارةَ التجارِ .. ونحُّوا الزعماءَ عن زعامتهم .. وبقى المسلمون يستخْفُون فى دارِ (ابن الأرقمِ) يتقابلون سرًا .. ويصلُّون خفيةً ويتدارسون القرآن همسًا .. وشاع فى مكةَ أن (محمدًا) قد قُتل ..

واستل الفتى (الزبيرُ) سيفَه وشهره عاليا ، وراح يجرى فى طرقات مكةَ يتيقن من الخبرِ ، وهو يقسم فى نفسه أن يطيح برقابِ أهلِ مكةٍ كلها إذا كان الخبر صحيحا ..

ولقيه الرسولُ وهو فى حالته هذه .. فهدَّأ من روعه وباركه وصلى عليه ودعا له بالخيرِ ولسيفه بالغلبةِ ..

فمنَ هو (الزبيرُ) .. هذا الفتى المسلمُ القـوىُّ الجـرىء ..

هو (الزبير بن العوام) ابـنُ السـيدة (صفيـة) بنـت عبـد المطلبِ عمة النبى عليه السلامُ ..

ويلتقى نسبُ الزبير مع نسبِ النبى محمـدٍ فـى جدهمـا الرابع (قصى بن كلاب) .

أسلم الزبيرُ مبكرًا .. وكان لم يزل فتى فى حوالى الخامسة عشرة .. ويقال فى الحادية عشرة .. لهذا فقد تعرض لتعذيب مبرح من عمه الذى كان يلفه بحصير ويعلقه من قدميه ثـم يدخن عليه بالنار حتى يكاد يختنق ثم ينادى عليه ..

ـ اكفر برب محمد أدرأ عنكَ هذا العذابَ .

فيجيبه الفتى المؤمن :

ـ لا .. والله لا أعود للكفر أبدًا ..

ويـهاجر (الزبـير) إلى الحبشـة فـى الهجرتـين : الأولى والثانية ، هربا من هذا العذابِ وهذا الاضطهادِ ، ثم يعـودُ

إلى جوار رسولِ الله ويتزوج من أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) ..

هكذا يلتقى رجل مبشَّر بالجنة مع فتاة مبشَّرة بالجنة فى زواج يرزقان منه بسبعة من الأولاد ، حملوا جميعا أسماء شهداءِ الدعوة الإسلامية ، فقد كان أبوهم يتمنى أن ينالوا شرف الشهادةِ مثل سابقيهم ..

شهد (الزبيرُ بنُ العوام) كل غزوات رسول الله وله فى كل موقعةٍ بطولاتٌ تشهد عليها هذه الروايةُ التى قصها علينا واحد من أصحابه .. الذى يقول :

"صحبت (الزبيرَ بنَ العوام) فى بعض أسفاره ورأيت جسده .. مجذعا بالسيوف ، وإن فى صدره لأمثال العيون الغائرة من الطعن والرمى ..

فقلت له : والله لقد شاهدتُ بجسمك ما لم أره بأحد قط ..

فقال لى : أما والله ما منها جراحةٌ إلا مع رسولِ الله وفى سبيلِ الله" ..

فهل نقف مع (الزبيرِ بنِ العوامِ) فى (غزوة بدر الكبرى) فى أولى هذه المواقع الكبرى التى شهدها الصراع العسكرى بين الكفر والإيمان؟

حشدتْ قريش لهذا اليومِ عُدتها مع خيرِ فرسانها يتصدرهم أشهرُ فرسانها (عبيدةُ بنُ سعيد بن العاص) المشهور بشدته وبطولته النادرةِ وفروسيته الفذةِ ..

وقف (ابن العاص) فى مقدمةِ الصفوف متدرعا من قمةِ رأسه إلى أخمص قدميه متحديًا من (يتهور) ويجازف بمنازلته ..

لكن من يقدر على هذا الفارسِ المشهودِ له وقد اختفى كل جسمه تحت الدروع ولم يعد يرى منه إلا عيناه ..

وتقدم إليه الزبيرُ بنُ العوامِ .. وراح يلف حوله

ويدور ويفكر ..

وفجأةً دفع الزبير رمحه القصيرةَ (العنزة) ووجَّه بها طعنةً نافذة بإذن الله اخترقت عين (ابن العاص) لتستقر فى مؤخرة رأسهِ ..

وانطلقت صرخةُ الفزعِ والألمِ من عدو الله وهو يسقط جثة هامدةً أمام باقى المشركين الذين كانوا يعقدون عليه الآمال الكبارَ .

هنا دب الفزعُ فى صفوفِ قريشٍ .. وعلت صيحات التكبيرِ فى صفوفِ المسلمين .. وكانت طعنةُ (ابن الزبير) النافذة بدايةً لانتصارٍ كبيرٍ حققه جندُ الله من المسلمين .. فى غزوة (بدر) ..

ولما علم رسول الله بما فعل الزبيرُ دعا له وطلب رمحه القصيرةَ (العنزة) واحتفظ بها تكريما لها ولصاحبها ..

ولم يكن يومُ (بدر) هو فقط يومَ الزبير .. بل كانت كل

أيامِ الإسلام أيامَه ..

يروى عن الزبير أنه ذهب مع (على) كرَّم الله وجهَه إلى أحدِ الحصونِ المنيعةِ (لبنى قريظة) أثناء حصارهم .. ثم وقفا دون باب الحصن وقالا معا ..

"والله لنذوقن ما ذاق حمزة(*) أو لنفتحن عليهم حصنهم" ..

ثم اندفعا معا إلى الحصنِ ففتحا بابَه وسط ذهولِ المختبئين فيه ..

ودخله المسلمون بإذن الله مهلِّلين مكبرين ..

أما يومُ (اليرموك) فقد كان يوما مشهودًا بين المسلمين والروم فى أرض الشامِ ..

وكان الروم قد حشدوا جيوشَهم القويةَ الكبيرة .. إلا أن المسلمين لم يهابوا هذا الحشدَ، ولم يرهبوا تلك القوةَ ..

(*) هو حمزة بن عبد المطلب عم النبى محمد الذى استشهد فى موقعة (أحد) .

وكيف يهابون وهم يحملون فى قلوبهم إيمانا يحبب إليهم طلبَ الشهادةِ ؟!

اجتمعت مجموعة من أبطالِ المسلمين ، وجاءوا إلى الزبير وقالوا :

ـ ألا تحمل[1] فنحمل معك ؟

ـ قال الزبير : نعم ..

وانطلقَ الزبيرُ ومِنْ خلفهِ جماعةُ المسلمين يشق الصفوفَ ، لا تمنعه قوةٌ .. شاهرًا سيفه ، حاملا رمحه وراح يقاتل قتالَ الفدائِى .. وانتقلت روحُه القويةُ إلى باقى رجالِهِ ، فأشاعوا الرعب فى صفوفِ الرومِ ..

وحقق جيشُ الإسلامِ فى اليرموك نصرًا بعد نصرٍ .. وخلد التاريخُ اسم (الزبير بنِ العوام) قائدا .. فدائيا .. مناضلا .. مقداما ..

---

(1) تحمل : أى تقود حملة أو تشن غارة على الأعداء .

تتابعت فتوحُ المسلمين .. وارتفعت رايةُ الإسلامِ في عديدٍ من البلاد .. ودخل المسلمين مصر بقيادة (عمرو بن العاص) ..

مضت جيوشُ (عمرو) تطوى أرضَ مصر دون مقاومةٍ تذكر .. فقد رحب المصريون بهذه الدعوةِ ورأوا فيها خلاصا مما يلقونه من ظلمٍ وبطشٍ من جانب الحكمِ الرومانى .. حتى إذا وصلت جيوشُ المسلمين إلى (حصن بابليون) شعر ابن العاص أنه بحاجة إلى مدد يعاونه على اقتحامِ هذا الحصنِ الذى تمركزت فيه كلُّ قوى الرومان فى مصر .. فكتب إلى (ابن الخطاب) يطلب المساعدةَ .

وأرسل (ابن الخطاب) إلى (ابن العاص) أربعة آلاف جندى بقيادة أربعةٍ من خِيرة القادةِ .. وكتب إليه يقول :

"لقد أمددتُك بأربعةِ آلاف عليهم أربعةٌ من مشاهيرِ الصحابَةِ الواحد منهم بألف رجل" ..

فمن هم هؤلاء الصحابةُ الذين يعادل الواحد منهم ألف رجل ؟

إنهم (الزبيرُ بنُ العوام) ، و (عبادَةُ بن الصامت) .. و (المقدادُ بن الأسود) ، و (مسلمةُ بن مخلد) .. (عليهم رضوان الله) ..

وتتجه جيوشُ الإسلام بعد هذا الدعم إلى حصن (بابليون) المنيع .. ويشعرُ الجميعُ أن اللحظة حاسمةٌ وأن الموقفَ حَرِجٌ وخطيرٌ .. إنها لحظةٌ فاصلة فى تاريخِ نشر دعوةِ الإسلام ..

ويومها تتجلى عبقريَّةُ (ابن العوام) العسكريةُ وفدائيته .. فقد تسلل إلى أحد جدران الحصن حيث وضع سلما ليصعد عليه ، وطلب من المسلمين أن يجيبوه مجتمعين إذا ما سمعوه يطلق الصيحة الكبرى .. الله أكبر .. ويصعد (ابن الزبير) الحصنَ فى هدوءٍ حتى يرتقى قمتَهُ ثم يطلق

صيحته (الله أكبر) ..

هنا تنطلق خلفه صيحات آلاف من الجنود مكبرةً مرات ومرات .. ويدب الرعبُ فى قلوبِ الرومان ويظنون أن المسلمين قد دخلوا الحصنَ ، ويولون الأدبار هاربين فارين ..

ويتجه (الزبير بن العوام) إلى باب الحصن فيفتحه ، ويدخل المسلمون لينتهى هذا الحصارُ دون إراقةِ نقطةِ دمٍ واحدةٍ .. ليسجل التاريخُ مرة أخرى اسم (الزبير بن العوام) قائدا فذا فى كتاب الجهادِ فى سبيلِ الله .

ويواصل (ابن الزبير) جهاده تحتَ إمارة (عمرو بن العاص) لفتح باقى أقاليم مصر ، ويكون له دورٌ بارزٌ فى فتحِ الإسكندريةِ ..

لله درُّكَ أيها المحاربُ الشريفُ .. وأيها المقاتلُ القوى .. فقد وهبت حياتك كلها للنضال فى سبيل الله وفى سبيل دعوته .. ولم تطمع فى أى شىء آخر حتى قيل عنك :

"إنه ما ولى إمارةً قط ، ولا جباية ، ولا خراجا ولا شيئا إلا الغزو فى سبيلِ الله"

كذلك عفَّ (الزبير) عن الوظائفِ والمهام غيرِ القتاليةِ رغم أن عائدها كان مجزيا .. ومجهودَها قليل ..

لقد آثر أن يحدِّد هدفَه (نشر دعوة الإسلام) كما أنه حدد وسيلته (الجهادَ فى سبيلِ الله) ..

ولم يكن الزبير مقاتلا فى سبيل رفعةِ الإسلام فقط بل كان باذلا للمال .. أنفق كلَّ ثروتِه فى سبيلِ الله حتى مات وهو مدين ..

لقد أحبه رسولُ الله وقرَّبه من مجلسهِ .. فهو المحاربُ القويُّ ، والجوادُ السخى .. والذى أقرض الله قرضا حسنا ..

وكان الرسول يقول عنه :

"لكى نبى حوارىّ .. وحوارىّ الزبير بنُ العوام" .

فها هو ذا النبى يعترف بأن الزبير هو أقربُ الناسِ إلى قلبه وأكثرهم حرصا عليه وتمسكا به نبيا ورسولا وإنسانا عظيما ..

وإننا لنقف أمامَ وصفِ (شاعر الرسول) حسانِ بنِ ثابت للزبير ونتأمل هذه العظمةَ ، وهذا المجدَ الذى صنعه محاربٌ فى سبيل الله بحد سيفه وبسالة عطائه ..

يقول حسان :

أقام على عهدِ النبى وهديه

حَوارِيّه والقولُ بالفعل يعدلُ

أقام على منهاجهِ وطريقهِ

يوالى ولىُّ الحق والحق أعدلُ

هو الفارس المشهورُ والبطلُ الذى

يصولُ إذا ما كان يومُ محجل

له مـــن رســول الله قــربى قريبــة

ومــن نصــرةِ الإســلام مجــدٌ مؤثَّل

فــكـم كـــربة ذبَّ الـزبير بسيفــه

عن المصطفى والله يـعـطـى ويجـزل

سلام على الزبير بن العوام .

وسلام على رفيق كفاحه (طلحة بن عبيد الله) اللذين لم يُذكر أحدهما إلا وذكر الآخرُ .

فقد تشابها وتزاملا ..

أسلما فى عام واحد ..

وقتلا فى يوم واحد ..

ودفنا متجاورين ..

بشرهما النبى ﷺ بالجنة معا عندما قال :

(طلحة والزبير جاراى فى الجنة) .



6

قصص المبشرون بالجنة

رجل السخاء والعطاء

سلوى العنانى



دار اللطائف

رجل السخاء والعطاء

(عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ)

دخل النبىُّ عليه السلامُ (يثربَ) مُحاطًا بالتَّرحابِ من أهلِها ـ الأوسِ والخزرجِ ـ ومن السابقين من المهاجرين الذين كانوا قد دخلوها قبلَ وصولِ النبىِّ .

وكان من الضرورىِّ أن يتمَّ تنظيمُ هذا المجتمعِ حتى تستقرَّ الحياةُ .. فكيف يكون حالُ هؤلاءِ الذين هاجروا مع النبىِّ تاركين أموالَهُم وديارَهُم .. وأحيانا زوجاتِهم ؟ كيف تسيرُ حياتُهم ؟

وتظهر حكمةُ النبىِّ عندما آخى بين المهاجرينَ والأنصارِ ، فالأنصارُ مستقرونَ فى مدينتهم .. لهم بيوتُهم وزوجاتُهم .. لهم زراعتُهم ولهم تجارتُهم .. عندهم الإبلُ والأغنامُ والخيلُ .. فليقتسم كل مسلم من الأنصار ما عنده

من خيرٍ مع مسلمٍ من المهاجرين .. وهكذا تتوكّد الوحدةُ بين عنصرى المجتمعِ الجديدِ ، وتزدادُ الأواصرُ تماسكًا ..

آخى النبيُّ بينَ (عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ) ، و (سعدِ بنِ الربيعِ) وكان هذا الأخيرُ من أكثرِ أهلِ يثربَ مالاً .. فعرض على (عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ) أنْ يقاسمَهُ فى كلِّ ما يملكُ ..

قال سعدٌ : أُقاسِمُك مالى نصفين وأزوّجك . لكن (ابن عوفٍ) شكرهُ واعتذر عن عدم قبولِ عرضِهِ ، وطلب أن يدلَّه على طريقِ السُّوقِ .. وهناكَ اشترى وباعَ وربحَ وعاش من عملِ يدِهِ ..

فمن هو (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) .

هو واحدٌ من السابقين الأولين إلى الإسلامِ ، فهو أحدُ الثمانيةِ الأوائلِ الذين آمنوا بمحمدٍ نبيا ورسولاً ، وواحدٌ من الخمسةِ الذين آمنوا على يد أبى بكر ، وأحدُ الستةِ

أصحابِ الشورى الذين أوْكلَ إليهم الخليفةُ عمرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه أنْ تكونَ الخلافَةُ فيهم مِن بعدِهِ .

عانى (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) من اضطهاد قريشٍ وقسوتِها ما عاناه إخوانُه المسلمون الأوائلُ ..

هاجر (ابن عوف) إلى الحبشة مرتين فرارًا بدينه .. ولما عاد لازم النبيَّ حتى هاجر معه إلى (يثربَ) .

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}

[النساء : 100]

لقد اشترى (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) رضا الله ورسولِهِ وباع تجارتَه التى صادرها مشركو قريشٍ .. وبدأ مرة أخرى من الصفر بعد هجرته إلى المدينةِ ..

توجَّه إلى سوق (بن قَيْنُقاعٍ) وهناك باع واشترى وربح ثم تزوج من عملِ يدِهِ ..

سأله الرسول ﷺ : "تزوجتَ" قال : "نعمْ" .. قال الرسول : "ومَنْ؟" .. قال : "امرأةً من الأنصارِ" .. فسأله النبيُّ "كمْ سُقتَ؟" .. أى كم دفعتَ مهرًا؟؟" .

قال : "نواةً من ذهب" .. قال النبى : "أَوْلِمْ ولو بشاةٍ" ..

كان (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) تاجرًا ماهرًا ، جعله ذكاؤه يختار الوقتَ والمكانَ المناسبَ دائما لتجارته .. فقال عنه البعضُ : إنه إنسان محظوظٌ .. وحتى قال هو عن نفسِه : (لقد رأيتنى ، لو رفعتُ حجرًا ، لوجدتُ تحته فضةً وذهبًا) ..

لكنه الذكاءُ .. والرضا .. والسعىُ الدءوبُ .. والبعدُ عن الاحتكارِ والمضاربةِ .. والاتجاهُ بالعملِ لوجهِ الله عزّ وجلّ ..

حكى عنه معاصروه فقالوا :

ـ "إذا لم يكن ابنُ عوفٍ فى المسجدِ يصلّى فهو فى غزوةٍ فى سبيلِ اللهِ أو تجارةٍ" .

وكانت قوافله تجوب الشامَ ومصرَ واليمنَ ، ثم تعودُ إلى المدينةِ تحمل الكساءَ والطعامَ وكلّ ما يلزمُ حياةَ الناسِ هُناك ..

سمع (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) يوما رسولَ اللهِ يقول له :

"يا بنَ عوفٍ إنك من الأغنياءِ ، وإنك ستدخلُ الجنة حبوًا .. فأقرضْ الله يطلقْ لك قدميكَ" ..

ومن ساعتِها .. و (عبدُ الرحمنِ) يسابق نفْسَهُ فى العطاءِ فيجهّزُ الحملاتِ العسكرية ويطعمُ الناسَ ..

لم يكن جشِعًا ولا طمّاعًا ، بل كان قانِعًا راضيًا .. إذا ما أعطاهُ اللهُ خيرا وزّعه على أهلِ (بنى زُهرة) وعلى فقراء المسلمين .. بل أغنيائهم أيضا .

باع (ابنُ عوفٍ) يومًا أرضًا وقبض ثمنها أربعين ألف

دينارٍ .. فماذا يفعلُ بهذا المالِ ؟ .

لقد وزّعه علـى أهلـهِ وعلـى فقـراءِ المسـلمين ، وعلـى أمهاتِ المؤمنين .

ولما حضره الموتُ أوصى بخمسين ألـف دينـارٍ فـى سـبيل الله ، كما أوصى بأربعمائة دينارٍ لكل مـن بقـى علـى قيـد الحياةِ ممن شهدوا موقعةَ (بدرٍ) ـ وكانوا مائةً ـ يومها ترحـم عليه علىٌّ (كرم الله وجهه) وقال :

(اذهب يـا بـن عـوف ، فقـد أدركـت صفوهـا وسـبقت زيفها) .

وكان (عثمانُ بنُ عفان) ممن أخذ نصيبَه يومها مـن هبـةِ (ابنِ عوفٍ) رغم ما عرف عنه من الثراءِ ..

قال (عثمانُ) يومَها :

"إن مال (عبد الرحمنِ) حلالٌ صفـو ، وإن الطعمـةَ منـه عافيةٌ وبركةٌ" .

كان عند (عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ) ثمانيةُ آلافِ درهمٍ فأمسكَ منها أربعةً لنفسه وعيالهِ .. وقدم الباقى لله ورسولِه .. فقال له النبىُّ عليه السلامُ :

"بارك الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ" .. ثم نزلتْ الآيةُ الكريمةُ تقول :

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة : 267] .

يُروى أن المدينةَ استيقظتْ يومًا على قافلةٍ ضخمةٍ تزحم طُرقاتِها .. وتهزّ جنباتها .. ولم يكنْ لهذه المدينةِ الهادئةِ عهدٌ بمثل هذه القوافلِ الكبيرةِ .. وتساءل الناسُ فيما بينهم فعرفوا أنها تجارةٌ لعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ راجعةٌ من الشام ..

وعلمَتْ (عائشةُ) أُمُّ المؤمنين بخبرِ هذه القافلةِ فتذكرتْ قولَ رسولِ الله (يابن عوفٍ إنك من الأغنياءِ وإنك ستدخلُ

الجنة حبوا .. فأقرضْ الله قرضًا حسنًا) . . .

وردَّدتْ أمُّ المؤمنين قولَ رسولِ الله فنقل البعضُ حديثَها إلى (عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ) فاتجه لفوره إليها ، وقال ..

"لقد ذكرتنى بقولٍ لم أنْسَهُ ..

إنى أشهدك أن هذه القافلةَ بأحمالها وأقتابها وأحلاسها ، فى سبيل الله عزّ وجلّ" ..

وبرّ الرجلُ بما قال ..

وتم توزيعُ حمولةِ القافلةِ كلِّها على أهلِ المدينةِ وغيرِهم من المسلمين ..

سبعمائةُ بعيرٍ تحملُ من الخيراتِ ما لا يستطيعُ أحدٌ أن يُحصيَه أو يعدَّه يقدِّمها (ابنُ عوفٍ) فى سبيلِ الله ..

لقد تمنى الصحابىُّ الجليلُ أن يدخلَ الجنةَ عَدْوا كما وعد النبىُّ بذلك غيره من السابقين للإسلامِ فأقرضَ الله قرضا حسنا ، وجاد بمالِه عن طيبِ خاطرٍ ..

نموذجٌ للسخاءِ والعطاءِ ..

نذر (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) تجارتَه وأرباحَها لله .. فأعطى في سبيل الله وأطعم الفقراء .. تحرّى الحلالَ وابتعد عن الشبهاتِ فزادتْ تجارتُه وربت ، وبارك الله له فيها ـ وكان في ماله حقٌّ معلومٌ .. لأهلِه وإخوانه .

لم يكن ثراءُ عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ من الأمورِ التي تجلبُ له السعادةَ أو راحة البالِ .. على العكس كان هذا الثراءُ سببًا في قلقِهِ الدائمِ .. فقد كان يخشى أن يكونَ هذا الخيرُ العاجلُ سببًا في تأجيلِ خيرِ الآجلِ .. وهو أحرص على الأخيرِ حرصه على أغلى ما يتمنى .

يروى عن (عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ) أنه جلسَ يوما ليُفطِرَ بعد صيامٍ ..

فلما قُدِّم له الطعامُ بكى وامتنع عن الأكلِ وقال :

"استشهد (مصعبُ بنُ عميرٍ) وهو خيرٌ منّي فكفّن في

بردةٍ إن غطّت رأسه بدتْ رجلاه ، وإن غطت رجليه بــدت رأسُه ..

واستشهد (حمزةُ) وهو خيرٌ منّي فلم نجدْ له ما نكفّنهُ فيـه إلا بردةً ..

ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط وأُعطينا منها ما أعطينـا ، وإني لأخشى أن نكون قد عُجّلت لنا حسناتنا" ..

وكان ابن عوف كثيرا ما يبكي ويقول :

"لقد مات رسولُ الله عليه السلامُ وما شـبع هـو وأهـلُ بيته من خبز الشعير .. وما أرانا أُخّرنا لما هو خيرٌ لنا" ..

وكان يخشى دائما أن يكونَ ممن يُقال لهم يومَ القيامة :

بسم الله الرحمن الرحيم

{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُون} [الأحقاف : 20] .

.. هكذا لم ينس (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) الآخرةَ ساعة ابتسمتْ له الدنيا، بل كانَ دائمَ الذِّكرِ ليومٍ لا ينفعُ فيه إلا العملُ الصالحُ .. زهِدَ عن المناصب وابتعد عنها حتى لا تغريه الحياةُ وتنسيه منهجَه في الحياةِ ..

العطاءَ .. العطاءَ .. ولأجلِ الله ورسوله ..

لم يكن الجهادُ بالمالِ هو كل جهادِ عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ بل كان جهادُه بالقتال في سبيلِ الله مشهودًا .

في غزوة أحدٍ أُصيب ابنُ عوف بعشرين إصابة تركت إحداها في ساقه عرجا دائما .. كما سقطتْ إحدى ثناياه (أسنانه الأمامية) فتركت عيبًا في نطقه ..

وأحسبها أوسمةً تلك التي حملها ابنُ عوفٍ في ساقِه وفي أسنانِه ظلت تُشهد العالمَ على عطاءِ هذا الرجلِ وشجاعته ..

عاش ابنُ عوفٍ حياته قريبا من النبي عليه السلام فلما

قُبض .. عاش إلى جوار أبـى بكـر ثـم عمـرَ بـنِ الخطـابِ واحدًا من مستشاريهما وأصحابِ الرأى معهما .

وقبل أن ينتقل ابـن الخطـابِ إلى جـوار ربـه أوصـى أن تكونَ الخلافةُ من بعدِهِ بين ستةٍ من خيرةِ صحابةِ رسولِ الله عليه السلامُ وكانَ (ابنُ عوف) واحدًا منهم .

واتجهتِ الأنظـارُ أول مـا اتجـهت إليـه .. إلا أنـه قـال .. "والله ، لأن تُؤخذ مدية(*) ، فتوضع فى حلقى ، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحبُّ إلىَّ من ذلك" .

هكذا رفض (عبدُ الرحمـن بـنُ عـوف) أن يتـولى إمـارةَ المؤمنين بعد (عمر بـنِ الخطـابِ) واعتبرهـا مسـألة قاسـية عليه .. مستبعَلة كل الاستبعاد عن تفكيره .. فهو زاهدٌ فـى المناصبِ راغبٌ عن الخلافةِ .

فلما سمع الإمامُ (علىٌّ) (كرم الله وجهه) منه هذا الرفضَ

(*) المدية : الخنجر الصغير أو المطواة .

قال له : "لقد سمعتُ رسول الله عليه السلامُ يصفك بـأنك أمينٌ فى أهلِ السماءِ ، وأمينٌ فى أهل الأرضِ " ..

وأصر (ابنُ عوفٍ) على رأيه فأوْكل الخمسة الآخرون له مهمة اختيار الخليفةِ .

واختار (ابنُ عوفٍ) من بينهم (عثمانَ بنَ عفانٍ) ليكون خليفةً على المسلمين .. ووافق الجميعُ على رأيِهِ .

فى العام الثانى والثلاثين للهجرةِ .. جـاد (عبـد الرحمـن بن عوف) بأنفاسه الأخيرةِ .. صعدتْ رُوحه إلى بارئها وهو راضٍ عما قدَّم للحياةِ من جهادٍ بالنفسِ والمالِ .



7

قصص المبشرون بالجنة

المجاهد الكريم



سلوى العنانى

دار اللطائف

المجاهد الكريم

(طلحةُ بنُ عبيدِ الله)

قالت أمُّ المؤمنين (عائشةُ) :

"كان (أبو بكر) إذا ذكر يومَ أُحدٍ يقول :

ذلك كله كان يومَ (طلحة) .. كنت أول من جاء إلى النبى عليه السلام فقال لى الرسولُ ولأبــى عبيـدة بـن الجـراح : "دونكم أخاكم" .

ونظرنا ، وإذا به بضع وسـبعون بـين طعنـة .. وضربـةٍ .. ورميةٍ .. وإذا أصبعه مقطوعةٌ .. فأصلحنا من شأنه .

فمن هو (طلحةُ) .. الذى أبلى كل هذا البلاءِ يوم أُحد ؟

هـو (طلحـةُ بـنُ عبيـدِ الله) أحـدُ المبكريـن فـى الإسـلام والمجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ..

كان (طلحةُ) أحدَ أثرياء مكةَ .. يعمل بالتجارةِ بين بلادِ العربِ والشامِ ومصرَ واليمنِ .. تجارةٌ ضخمةٌ وثراءٌ وجاهٌ ومكانةٌ مرموقةٌ بين سادةِ قريشٍ ..

سمع يوما أن الأمين (محمد) يقول عن خبر أتاه من السماء يأمره أن يدعو الناسَ إلى ترك عبادةِ الأصنامِ ، وعبادةِ إلهٍ واحدٍ أحدٍ فردٍ صمدٍ ..

إن هذا الحديثَ ليس بجديد عليه ..

فقد سمع من رهبان الصحراء الذين كان يلقاهم ويجلس إليهم أحيانا .. أن نبيا سيبعث هذا الزمان يدعو الناسَ لعبادةِ الله الواحدِ الأحدِ ..

بل إن أحدهم أخبره أن هذى النبيَّ سيبعث فى مدينةِ البيتِ الحرامِ ..

فهل يكون (محمد) هو هذا النبى ؟ ولم لا ؟ إنه إنسانٌ

صادقٌ أمينٌ يطعم الفقيرَ ويؤوى المسكينَ ويمد يد المساعدةِ لكل من يطلبها ..

سأل (طلحةُ) .. من يقف إلى جوار (محمد) ويؤيده فيما يقول ؟ قالوا له .. (عتيق بن قحافة) (أبو بكر) ..

وحزم طلحةُ أمرَه .. لابد من لقاءِ محمدٍ .. فهو (أمين) .. وكذلك صاحبُه .. فهما بلا شك لن يجتمعا على باطلٍ ..

ذهب (طلحَةُ) إلى (أبى بكر) وسأله عن شأن (محمدٍ) .. ثم صحبه إلى حيث رسولِ الله ..

ـ أشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله ..

وعند خروجهما من عند النبى قابلهما (أسد قريش) "نوفلُ بنُ خويْلد" .. وكان طاغيَةً جبارًا يتفنن فى تعذيب المسلمين .

فما إن رآهما حتى أدرك أن (أبا بكر) قد دعا (طلحَةَ)

إلى الإيمان (بمحمدٍ) ..

وأن الأخيرَ قد آمن فعلاً ، فما كان منه إلا أن أمر عبيله وخدمه وأتباعَه فربطوا (أبا بكر) و (طلحة) في حبلٍ واحدٍ وساقوهما عذابا وإهانةً ..

ومن يومها يطلق عليهما اسم (القرينان) .. وأنعم بهما من قرينين ، وخشيت قريش عاقبةَ أمرِها ، لأنها تُعذب شريفين وجيهين من أشراف ووجهاء مكة فكفت عن تعذيبهما ، واكتفت بتعذيب العبيد والمستضعفين .

ومن هنا بدأت الرحلةُ المباركةُ .

رحلةُ الإيمان التى أخذ فيها (طلحةُ) مكانا بارزًا .

ولم تستسلم قريشُ لما يحدثُ .. إن الدعوةَ الجديدةَ تستقطب إليها نجومَ المجتمعِ القرشى وأثرياءه ولابد من التصدى لهم ..

وتبدأ حملةُ الاضطهادِ ، والمقاطعةِ ، لهذا التاجرِ الذى باع الدنيا واشترى جوارَ رسولِ الله .. لم يأبَه لشىء ، فقد كان إيمانُ (طلحة) إيمانا جعل من صاحبه جنديا وهب حياته وكل ما يملك لخدمةِ هذا الإيمانِ .

ظل (طلحةُ بنُ عبيد الله) إلى جوارِ الرسولِ فى مكةَ يدفع عنه الأذى ، ويؤيد الدعوة بماله وقوته ..

ثم هاجر إلى المدينةِ فرارًا بدينه من أذى قريشٍ ، وحارب إلى جوارِ رسولِ الله فى كل غزواته ومعاركه ما عدا غزوةَ بدرٍ ..

أوفد الرسول (طلحَةَ) ومعه (سعيدُ بنُ زيد) فى مهمةٍ استطلاعيةٍ حربيَّةٍ خارجَ المدينةِ .. ولما رجعا كان المسلمون قد رجعوا من بدر منتصرين على قريش ..

وحزن الصحابيان الجليلان أن هذه الفرصةَ قد فاتتهما ..

لكن النبيَّ عليه السلامُ طمأنهما وأخبرهما أن لهما ثوابَ المقاتلين تماما .. فقد كانا فى مهمةٍ لخدمةِ الدعوةِ الإسلاميةِ ، ومنحهما من الغنائمِ مثلَ ما منح المشاركين فى المعركةِ .

نزل الوحيُ على الرسولِ الكريمِ يقول :

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} .

ردّد الرسولُ هذه الآيةَ ، وتطلع إلى وجوه أصحابهِ ثم قال: "من سره أن ينظر إلى رجلٍ يمشى على الأرض ، وقد قضى نحبَه .. فلينظر إلى طلحةَ" .

يا الله .. إنها بشارةٌ بالجنةِ .. فهو رجل من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فهنيئا له بالبشرى .. البشرى بالجنةِ ..

منح النبيُّ ﷺ (طلحةَ) لقبا لم يمنحه لغيره من الصحابةِ فقد كان يناديه : (طلحة الخير) أو (طلحة الجود) أو

(طلحة الفياض) .

فقد كان طلحةُ أجودَ الناسِ وأكثَرهم عطاء لدعوةِ الإسلامِ وكلما زاد خيره زاد إنفاقه ..

دعاه الرسولُ يوما :

"الصبيح ، الفصيح ، المليح" ..

قيل عنه : إنه لا يدعُ أحدا من بنى (تيم) عائلا إلا كفاه مؤنته ومؤنة عياله ..

كان يزوِّج الأيامى منهم ، ويخدم عائلهم ، ويقضى دينَ غارمهم ..

تحكى زوجةُ طلحة (سعدى بنت عوف) عن زوجها فتقول :

(دخلت على طلحة يوما فرأيته مهموما ، فسألته ما شأنك) ؟

فقال :

"المال الذى عندى .. قد كثر حتى أهمَّنى وأكْرَبنى" .

فقلت له : ما عليك . قَسِّمْهُ ..

فقام ودعا الناسَ ، وأخذ يقسمه عليهم حتى ما بقى درهم .

ومرة أخرى باع أرضا له بثمن مرتفع ، ونظر إلى كومةِ المالِ ففاضت عيناه بالدمع ، ثم قال :

"إن رجلا تبيت هذه الأموالُ فى بيته لا يدرى ما يطرق من أمر ، لمغْرُورٌ بالله" ..

ثم دعا بعضَ أصحابه وحمل معهم أموالَه هذه ، ومضى فى شوارعِ المدينةِ وبيوتها يوزعها حتى أسْحر وما عنده منها درهمٌ" ..

ويحدثنا (جابر بن عبد الله) عن جودِ طلحة فيقول :

"ما رأيت أحدًا أعطى لجزيل مال مـــن غـير مسـألةٍ من (طلحة ابن عبيد الله) ..

كان من أكثر الناس برا بأهله وبأقربائـه ، فكـان يعولهـم جميعا على كثرتهم ..

أحب النبيُّ عليه السلام (طلحةَ) حبًّا شـديدًا حتى أنـه قال فى حديث صحيح :

"طلحةُ والزبيرُ جاراى فى الجنَّةِ" صدق رسول الله .

هذا هو طلحةُ المجاهدُ بماله فى سبيلِ الدعوةِ الإسلاميةِ ..

فماذا عنه مجاهدا بنفسه كما ذكرنا فى بدايةِ الحديثِ عـن موقفه يوم أُحدٍ ؟؟

جمعـت (قريـش) أقـوى قواتـها .. وسـلحت فرسـانها وجيشت جيوشَها للثأر لكرامتها وما لحق بها يوم (بدرٍ) ..

وخـرج المسـلمون لملاقـاةِ الكفـارِ عنـد أُحـدٍ .. والتحـم

الجيشان .. جيشُ الكفار بأعداده الوفيرة وعدته الكثيرة .. وجيش المسلمين بإيمانهم القوى وفدائيتهم المطلقة .. حتى أن كلَّ مسلم كان يساوى فى قوته جيشا بأكمله ..

والتحم الجيشان ..

وكان النصرُ للمسلمين ..

وفرت فرسان الكفرِ المنهزمة مخلِّفةً وراءها الكثيرَ من الغنائِم .. وهنا نسى رماةُ المسلمين تعليمات النبىِّ عليه السلامُ بأن يثبتوا فى مواقِعهم لا يغادرونها أبدًا .. غرتهم الغنائمُ والأسلابُ واندفعوا إليها تاركين أماكنَهم ..

وانتهز الكفارُ هذه الفرصةَ والتفوا من خلف المسلمين وأحاطوهم وطوقوهم وانهالوا عليهم منتهزين فرصةَ انشغالهم وتركِهم أسلحتَهم ..

وكان النبىُّ (محمد) عليه السلام هو هدفَ الكفارِ فقد

رأوا أن قتلَه سيكون نهايَةً لهذا التهديدِ الـذى يعيشـونه .. وتفريقا لهؤلاء الذين آمنوا به ، ووقفوا يدافعون عن دينـهم وعن نبيهم ..

واتجهت النبالُ نلحيَةَ النبى تتمنى لو تناله ..

ومن البعد لمحه (طلحةُ) .. وكان فتى قويا صحيحا محاربـا وفارسًا نادرًا .. وإذ (بطلحة) يقفز نلحية حبيبه النبى الـذى آمن به وبدينه ..

ومـا إن أدركـه حتـى وجـد الدمـاء تسيل مـن وجهــه الشريفِ .. فلحتضنه بيسراه وصدره بينما كانت يمناه حاملـةً سيفَها تضربُ به وكأنها سريةٌ كاملةٌ من المسلمين .

فقد كان وحده يصد عشـرات الضربـات المشـركة التـى أرادت بالنبى شرًا .

فى هذا اليومِ رآه (أبو بكر الصديق) .. فكان يقول إذا ما

ذكرت (أُحد) :

ـ (ذلك كله كان يومَ طلحة) ..

هذا هو طلحة فى ميدان القتالِ ..

ولم يكن ليقعد عن غـزوةٍ مـن غـزوات المسـلمين ، بـل شهدها جميعا مع النبى عليه السلامُ ، ثم مع صحابته وتحت إمارتهم ..

وحظى من كل هؤلاء بالتكريم والتبجيل الذى يستحقه منهم ..

ولم لا ؟ وهو واحد مـن الثمانيـة الأوائـل الذيـن آمنـوا بمحمد رسولا وبالإسلام دينا ..

ثم هو واحدٌ من أهلِ الشورى الذى وكَّل لهم عمرَ بعـد وفاته أمر اختيـار خليفـةٍ لـه ليكـون أمـيرا للمؤمنـين مـن بينهم .

مر الرسولُ وأصحابُه فى طريقهم أثناءَ غـزوةِ (ذى قـرد) ببئرِ ماءٍ يقال لها (بيسان) فغيرَ الرسولُ عليه السـلامُ اسمـها إلى بئر (نعمان) ..

فلما سمع طلحةُ هذا القولَ مـن الرسـول عليـه السـلامُ ذهب لتوه إلى أصحابِ البـئرِ فاشـتراها منـهم ثـم جعلـها صدقةً جاريةً يشربُ منها المسلمون ..

وفَرِحَ رسول الله لما فعله (طلحــةُ) وقـال : "مـا أنـت يـا طلحةُ إلا فياض" ..



8

قصص المبشرون بالجنة



سلوى العنانى

أمين الأمة

دار الطائف

أمين الأمة

(أبو عبيدة بنُ الجراحِ)

صدق الله وعده وانتصر المسلمون فى بدر .. وعاد من بقى من فرسان قريش يجرون هزيمتهم ، ويبكون قتلاهم ويرسلون فى فداء أسراهم .. إلا أن روح الثأر فى قلوبهم كانت تشتعل فى كل يوم لتأجيج هذه الرغبةِ فى قتال المسلمين ..

أعدت قريش العدة .. ثلاثة آلاف مقاتل .. وزودتهم بالسيوف والنبالِ .. يمتطون ظهور مائتى فرس ، وثلاثة آلاف بعير حاملين معهم من الزاد ما يكفيهم ..

وسط هذه الحملةِ الضخمةَ حملت الهوادج[1] عددا من النساء ، جئن يلهبن حماس المقاتلين ويشعلن فيهم نار الثأر ، وفوق أحد هذه الهوادج كان صنم كبير من أصنامهم

---

(1) هوادج : جمع هودج وهى خيمة صغيرة تثبت على ظهر الإبل وتخصص عادة لجلوس النساء .

قد زُين بالقلائد والحلى ..

ووصل الخبرُ إلى النبيّ وصحبه فى المدينــة ، وعلمـوا أن قريشًا تعسكر بالقرب من جبل (أحد) علـى مسـافة خمسـة أميالٍ من المدينةِ ..

اجتمع المسلمون يتدارسون الموقفَ .. وانتهى رأيُــهم إلى وجوبِ الخروج لملاقاة كفارِ قريشٍ عند (أُحد) ..

كان اليوم الجمعة الرابع عشر من شوالٍ .. صلـى النبى بالمسلمين ، ثم خرج إلى (أحد) مع سبعمائةِ مقاتلٍ .. وبــدأ ينظم قواتِهِ ..

ومع صباحِ السبتِ الخامس عشر مــن شــوال سـار بـهم فوضع خمسينَ من الرماة على ممرَّات الجبلِ ، وقال لهم :

"احموا لنا ظهورنَا فإنا نخاف أن يجيئونا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخــل عسكرهم فلا تفارقوا مكــانكم ، وإن رأيتمونـا نُقتلُ فـلا

تعينونا ، ولا تدافعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبلِ ، فإن الخيلَ لا تقدم على النبلِ" .

والتقى الجيشان : جيشُ المسلمين بعدده القليلِ وعدَّتِه المتواضعة وإيمانِه القويِّ .. وجيشُ قريش بفرسانِهِ وخيولِهِ وأسلحتِهِ ..

وكان النصر للسلاح الذى لا يقهر .. للإيمان بالله وبرسولِهِ وبالدينِ الذى نزل من السماءِ ليخلص أهلَ الأرضِ من الظلمِ والعبوديةِ ..

وتراجع أبطالُ قريش الذين كانوا مضربَ الأمثالِ بين العرب فى القوة والشجاعةِ أمامَ قوةِ المسلمينَ .. ولاذوا بالفرارِ .

وتتبع المسلمون فلولَ الكفارِ الهاربةَ مخلِّفةً وراءها غنائمَ لا حصر لها .. فلما رأوا هذا الخيرَ انصرفوا عن إتمام ملاحقةِ العدوِّ للفوز بالغنائم .. بل إن الرماةَ الذين أمرهم

رسولُ اللهِ من قبلِ ألا يبرحوا مكانَهم مهما كان الأمرُ .. ما كادوا يرون زملاءهم يتكاثرون على الغنائِم حتى جرى عددٌ كبيرٌ منهم للحاق بأنصبتهم ..

فلما رأى المشركون التفافَ المسلمينَ حولَ الغنائمِ عادوا إليهم .. ودارت الدائرةُ .. وألقى المسلمون بما فى أيديهم وعادوا إلى القتالِ ..

لكن هيهات أن يستطيعوا لَمَّ الشَّملِ وتنظيمَ الصفوفِ .. عم الهرجُ ، واتجه العدوُّ ناحية الرسولِ يبغى الخلاصَ منه للقضاء على دعوة الإسلام من جُذورها .. وأشاع البعْض مقتلَ النبى .. إلا أن هناك مجموعةً من المؤمنين أقوياء الإيمان كانت التفت حولَ الرسولِ تدافع عن دينها وعن نبيها ، وكانَ كلُّ رجلٍ منهم يحملُ فى قلبهِ وساعدَيْه عشراتِ المقاتلين ..

فَمِنْ هؤلاء (علىُّ بنُ أبى طالب) و (أبو بكر الصديق) و (عمر بنُ الخطاب) و (سعد بنُ أبى وقاص) و (أمُّ عمادٍ

الأنصاريةُ) و (أبو دجانـةُ) و (كعـبُ بـنُ مـالكٍ) و (أبـو عبيدةُ ابنُ الجراحِ) ..

التفَّ هؤلاءِ الصحابةُ وغيرُهم حولَ رسولِ الله يصـدون عنه هجومَ كفارِ قريشٍ المسمومَ .. بينما هم ينسحبونَ بعيدًا عن بؤرةِ القتالِ ..

التف (عليٌّ) كرم الله وجه فرأى الـدَّمَ يسيلُ مـن وجـه النبى وهو يمسحه بيده الكريمةِ ويقولُ : "كيف يفلـح قـومٌ خضَّبوا وجهَ نبيهم ، وهو يدعوهـم إلى ربِّـهم؟" .. فأسـرع إليه بالماءِ يغسلُ به الوجهَ الطاهرَ ...

إنهما حلقتان من (المغفر)[1] الذى كان النبى يغطِّـى بـه رأسه وقد انغرستا فى وجهِهِ الشريفِ فأسالتا دمه الزكـى ، ويسرع رجلٌ من أهلِ الجنة إلى النبى فيقبض علـى الحلقـةِ الأولى بأسنانه فينتزعها ليسقط على الأرضِ ، وتسقطَ معـا

---

(1) المغفر : لباس لرأس المحارب يصنع من حلقات حديدية متشابكة .

(ثنيتاه)[2] .. ثم ينتزعُ الحلقـةَ الثانيـةَ فتسـقطُ معـها ثنيتـهُ الثانيةُ ..

فمنْ هو هذا الرجلُ .. التقىُ المؤمـنُ الـذى مـلأ الإيمـانُ قلبَهُ، فدفعه حبُّه للنبى لأن يقومَ بما قـام بـه دون تفكيـرٍ أو ترددٍ.

ولندع للصدِّيق (ابى بكر) يصف لنا هذه الواقعةَ :

"لما كان يومُ أحدٍ، ورُمىَ رسولُ الله عليـه السـلامُ حتـى دخلت فى وجنته حلقتـان مـن المغفـرِ، أقبلـت أسـعى إلى رسولِ الله عليه السلام، وإنسان قد أقبلَ من قِبَـلِ المشـرقِ يطيرُ طيرانا، قلت اللهم اجعله طاعةً، حتى إذا توافينا إلى رسولِ الله إذا هو أبو عبيدَةُ بنُ الجراحِ قد سـبقنى، فقـال : أسألُك بالله يا أبا بكر أن تتركنى فأنزعها من وجـه رسـول الله عليه السلامُ، فتركته ... فأخذ أبو عبيدَةُ بثنيتـه إحـدى حلقتى المغفر، فنزعها وسقط على الأرض وسـقطت ثنيتـه

---

(2) الثنيتين : السنتان الأماميتان .

معه ... ثم أخذ الحلقةَ الأخرى بثنيته الأخرى فسقطتْ ... فكان أبو عبيدة فى الناس (أشرم)[1] ..

إنه أبو عبيدة عامر بنُ عبد اللهِ بن الجراحِ .. أحدُ الستة السابقين الأوائلِ الذين دخلوا الإسلامَ على يدى أبى بكر الصديق ..

آمن أبو عبيدَة بمحمد نبيا ورسولا وبأن اللهَ واحدٌ قادرٌ لا شريكَ له .. ومنذ اليومِ الأولِ أظهر ولاء لا يواتيه ولاءٌ بهذا الدينِ ولرسولِهِ .

عندما اشتد وقعُ الاضطهادِ على المسلمين من كفَّارِ مكةَ نصح الرسولُ عليه السلامُ عددًا من أتباعهِ بالهجرةِ والتفرقِ فى الأرضِ فرارًا بدينهم ... واختار لهم الحبشةَ مهجرًا .. لماذا؟

"فإنها بها ملك لا يُظلم عنده أحدٌ ، وهى أرضُ صدقٍ ، حتى يجعلَ اللهُ لكم فرجا مما أنتم فيه" ..

---

(1) الأشرم : هو الشخص الذى كسرت أسنانه الأمامية وأثرت على نطقه لبعض الحروف .

هكذا رأى رسول الله ..

فهاجر فريقٌ مكونٌ من أحدَ عشـرَ رجلاً وأربعِ نساءٍ ، خرجوا سرا حتى لا يشعرَ بهم أحدٌ ، واتجهوا إلى حيثُ نصحهم رسولُ اللهِ .. إلى الحبشةِ .

وهناك قضوا عدةَ سنواتٍ ، ثم عادوا ظنًّا منهم أن أحوالَ المسلمين قد تحسنت فى مكة .. إلا أنهم رأوا فى عودتهم استمرارًا للظلم والاضطهادِ والتعذيبِ ، فخرجت قافلةٌ ثانيةٌ مهاجرةٌ إلى الحبشةِ ضمت حوالى ثمانين رجلاً غيرَ نسائِهم ..

كان أبو عبيدة بنُ الجراحِ واحدًا من هؤلاءِ المهاجرين الأوائلِ إلى الحبشةِ ، وظلَ هناك مع مجموعةِ المسلمين إلى أن هاجرَ النبىُ وأصحابُه إلى (يثربَ) فعادوا إلى جوار رسولِ الله ..

شعر الرسول بمدى إخلاص أبى عبيدةَ لدينه ، وعقيدته ،

ونبيه ، فأعجب بخصالهِ وسلوكهِ حتى إنه قال :

"أمين هذه الأمةِ ، أبو عبيدَةَ بنُ الجراحِ" .

حارب أبو عبيدة إلى جوارِ رسولِ الله فى (بدرٍ) (وأحدٍ) وغيرهما من المشاهد والغزوات .. وبرزت ثقة النبى فى شخص أبى عبيدة يومَ أتى وفد (نجران) من اليمنِ إلى النبى يعلن الإسلامَ وينطق بالشهادةِ .. ثم سألوه أن يبعثَ معهم من المسلمين الأوائِل منْ يعلمهم أمورَ دينهم من القرآنِ والسنةِ ..

فقال رسولُ الله عليه السلامُ :

"لأبعثن معكم رجلاً أمينًا .. حقّ أمين .. حقّ أمين .. حقّ أمين" .

ساعتها تمنى كلُّ واحدٍ من الصحابةِ أن يكون صاحبَ هذه الشهادةِ .. فمن لا يتمنى أن يشهدَ له النبيُّ بأنه (حقّ أمين) ويكررها ثلاثا .

وبعد أن صلى النبى بالمسلمين أشار إلى أبى عبيدة بن الجراحِ وقال :

"اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه" .

وذهب أبو عبيدة إلى اليمن .. يعلّمُ المسلمين أمورَ دينهم .. ويحكم فيما اختلفوا فيه ويدعو إلى سبيل الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ .. فدخل الإسلامَ على يديه عددٌ كبيرٌ من الناسِ ..

سافر أبو عبيدة إلى الشام ضِمنَ حملةٍ حربيةٍ كان يقودها (خالد بنُ الوليدِ) .. فأبلى بلاء حسنًا ، رغم أنه كان أكبرَ سنا من خالد وأسبق منه إلى الإسلامِ ، إلا أن القيادة والإمارَةَ لم تكن من ضمن أحلامه .. كان حلمه الوحيد هو إعلاء كلمةِ الله ونشر دين الإسلامِ .

وبينما كان (خالد بنُ الوليد) يقودُ رجاله فى موقعة مهمة وحاسمةٍ فى بلادِ الشام .. أرسل الخليفةُ عمر بنُ

الخطابِ برسالةٍ إلى أبى عبيدة يعهد إليه فيها بقيادة جيشِ المسلمين ..

ورأى الصحابى التقى الورعُ (أبو عبيدة) أن هذا الوقتَ غيرَ مناسب لإبلاغ خالدٍ بمضمونِ رسالةِ أمير المؤمنين .. فكتمها وأمر حامل الرسالةِ بكتمانها حتى انتهت المعركةُ بنصر المسلمين ، فاتجه إلى خالد وقدَّم له رسالةَ أمير المؤمنين .. وتعجب خالدٌ وسأله :

"يرحمك الله يا أبا عبيدَة .. ما منعك أن تخبرنى حين جاءكَ الكتابُ" .

فأجابه : (أمين الأمة) ـ كما أسماه رسول الله عليه السلام :

"كرهت أن أكسر عليك حربَك .. وما نريدُ سلطانَ الدنيا .. ولا للدنيا نعمل .. كلنا فى الله إخوةٌ" ..

ويتسلَّم ابنُ الجراحِ الرايةَ من ابنِ الوليدِ ويقودُ جيوشَ المسلمينَ فى عديدٍ من المعاركِ ، وأصبح يحارب تحت قيادته

عديدٌ من القادةِ الكبار فأطلقوا عليه اسم (أمير الأمراء) ..

ولما شاعت عنه هذه التسميةُ تألمت نفسُه فقد كان يعيش بين جنودِه ، وأتباعـهِ ، كواحـدٍ منـهم لا يتمـيز بلبـاسٍ ، أو ألقابٍ ، أو طعـامٍ .. ثـم أراد أن يوقـف هـذا (الامتيـازَ) أو (اللقبَ) الذى منحه إياه الناسُ فوقف فيهم خطيبا ...

"أيها الناسُ .. إنى مسلمٌ من قريـشٍ .. ومـا منكـم مـن أحد ، أحمر ، ولا أسود ، يفضلنى بتقـوى الله إلا وددت أنـى فى إهابه"...

هنيئًا لأهل الشام بحاكمٍ زاهدٍ ، عادلٍ ، قانتٍ ، عابدٍ مثـل أبى عبيدة بنِ الجراحِ ... كانت البلادُ تعيشُ ثراء ما بعـده ثراء .. وبدأ الناس يعتادون البذخ والنعيمَ والترفَ .. لكنـه كان كما أحب أن يكون ..

زراه الخليفةُ (عمر بنُ الخطابِ) فى منزله يوما وهو أمـيرٌ على الشامِ فتعجب أميرُ المؤمنين مما رأى ..

فليس فى الدار من الأثاثِ شىء .. ليس هناك إلا عدةُ الجهادِ .. السيفُ والترسُ[1] والراحلةُ .. ويتمتم الخليفة فى نفسِهِ ..

"ألا اتخذت يا أبا عبيدة لنفسك مثلما يصنعُ الناسُ" .. لكنك أبو عبيدة بنُ الجراحِ .

لما بلغ أميرَ المؤمنين (عمرَ بنَ الخطابِ) نبأ وفاة (أبى عبيدة ابنِ الجراحِ) ، جرت دموعه غزيرةً لفقد زميلِ الكفاح وشريك النضالِ فى سبيلِ الدعوة وقال :

"لو كنت متمنيا .. ما تمنيت إلا بيتا مملوءًا برجال من أمثالِ أبى عبيدة" .

---

(1) الترس : هو كل ما يتقى به المحارب مثل الدروع وغيرها .

9

قصص المبشرون بالجنة

سلوى العنانى

رجل من أهل الجنة

دار الطائف

رجل من أهل الجنة

(سعد بنُ أبى وقاصٍ)

بسم الله الرحمن والرحيم

{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

[لقمان : 15]

لهذه الآيةِ الكريمة حكايةٌ .. فقد نزلت فى موقف إنسانى نادر .. قد يكون الوحيدَ فى تاريخ البشريةِ ...

فما هى هذه الحكايةُ ؟ .. ومن هو بطلُها ؟

بطلُ الحكايةِ صحابىٌّ جليلٌ من صحابةِ الرسولِ عليه السلام ـ هو (سعد بن مالك الزُّهرى) والمعروف باسم (سعد ابن أبى وقاص) الذى تحدث عن نفسه فقال :

"أتى علىَّ يومٌ ، وإنى لَثُلثُ الإسلام" ..

وهذا يعنى أنه كان ثالثَ أول ثلاثة رجال دخلوا الإسلامِ فى الأيام الأولى للرسالة .. وكان هذا على يدى (أبى بكر بن قحافَة) (الصدّيق) الذى أقنع أصحابَه بالدخولِ فى الدينِ الجديدِ وهم : عثمانُ بنُ عفان ، والزبيرُ بنُ العوام ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وطلحةُ بنُ عبيدِ الله ..

يومها بسط (سعدٌ) يمينه إلى رسول الله مبايعا .. ولم يكن للمسلمين مكانٌ للقاء أو للاجتماع ، ولم يكن قد نزل من الوحى الكثيرُ .. لكن دعوةَ التوحيد لمست أوتار الفتى ابن السبعة عشر ربيعا فلم يفكر كثيرا .. فالنور ساطع والحقيقةُ جليةٌ والحقُّ صريحٌ .. ولِمَ لا يسعى إلى مصدرِ الفلاح؟ ولِمَ لا يضع يده فى اليد التى امتدت إليه لتصحبه إلى طريق الهدايةِ ؟ .. ولم لا يشارك هؤلاء الذين هدى اللهُ فى حمل رايةِ الدعوةِ ؟

لكن هل يرضى أهله عما أقدم عليه ؟ .. هل يوافقونه على أن يتركَ دينَ آبائهِ وأجدادهِ وأن يتبرأ من عبادةِ هذه الأصنامِ التى تحيط بالكعبةِ ، وهل يبتعد هؤلاء الزعماءُ

والأغنياءُ وصفوةُ قريشٍ .. وينضم إلى قافلـةِ الفقـراء التـى يقودها الفقيرُ اليتيمُ (محمدُ بنُ عبد الله) ؟؟؟

وتكون صدمةُ أمه فيه كبيرةً .. فهذا فتاها (سعد) ينتظـره مجدٌ وثراءٌ ، فإذا به يهجر هذا كلَّه ويعتنق دينًا جديدًا ..

وتمضى أيامُ الحوار بين سعد وأمِّه .. ومعها ليالى التـهديد والوعيد ..

لكن الإيمانَ القويَّ لم ينهزمْ أمامَ الوعـدِ .. ولا الوعيـد ، ولم تجد الأم طريقًـا واحـدًا تـهزم بـه إصـرار ابنـها .. فقـد أعلنت صومها عن الطعام والشراب حتى يرجع ابنُها عمـا هو فيه ، ويرتد إلى دين آبائه وأجداده ..

واسـتمرت الأم فـى إصرارهـا حتى تدهـورت صحتُـها وأشرفتْ على الموت ..

فاجتمع أهلُ (سعد) وذهبوا إليه يسألونه أن يُلقى علـى أمه نظرة الوداعِ وقد أيقنوا أن صورةَ الأم على هـذه الحـال سـتعيد للفتـى (صوابـه) فيرتد عـن دينـه لينقـذ أمـه ..

وذهب سعدٌ ..

ورغم قسوة الموقـف .. فـإن صـوت الإيمـان القـوى كـان يهتف فى عقله وقلبه فيعطيه القوة على تحمل ما هو فيه ..

اقترب سعدٌ من أمه .. أمســك بكفـهـا المزيلـةِ البـاردةِ .. ارتعش صوتهُ قليلا ، فقد تحركت مشاعره تجاهها .. ثم قال :

"تعلمـينَ واللهِ يـا أمَّـه .. لـو كـانت لـك مائـةُ نَفْـسٍ ، فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشىء .

فكُلى - إن شئتِ - أو لا تأكلى" ..

وأمـامَ هـذا الإصـرارِ القـوىِّ عدلـت الأمُّ عـن قرارهـا وأقبلت على طعامها وشرابها ، فقد اكتشفت أن (إضرابها عن الطعام) لن يثنى ولدها (سعد) عن قراره .

لقد تمكن الإيمان منه وأصبح عنده أغلى من كل مـا فى الحياة ، وتحيةً لهذا الموقف نزل الوحىُ الكريمُ يقول :

{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَـلاَ تُطِعْهُمَا} ..

جلس النبيُّ يوما مع أصحابه .. فإذا به يتطلـع إلى الأفـق وكأنه يسمع همسا .. ثم نظر إلى أصحابه وقال لهم :

"يطلع عليكم الآن رجلٌ هو من أهلِ الجنة" .

ويلتفت الصحابةُ فى كل اتجاه .. وما هى إلا دقائق حتـى أهلّ (سعدُ بن أبى وقاص) عليـهم .. فعرفـوا أنـه (مُبَشَّـرٌ بالجنة بإذن الله) .

يُرْوَى عن رسول الله عليه السلام ، أنه كان إذا أتى سعدٌ إلى مجلس وهو بين أصحابه داعب (سعدًا) قائلا ..

(هذا خالى .. فليرنى امرؤ خاله) .

نعم .. كان سعدُ بنُ أبى وقاص فى مكانـة الخـالِ للنبـى الكريمِ فجله أهيب بن مناف هو عـمُّ السـيدَةِ آمنـة بنـت وهب أم رسول الله .

كان سعدُ بن أبى وقاص هـو أولَ مـن رمـى سـهما فـى سبيلِ الله ، فقد خرج على رأس سـريَةٍ مـن السـرايا التى بعث بها النبيُّ بعـد الهجـرَةِ إلى المدينـةِ للثـأرِ مـن قريـش

باعتراض قوافلها .. وعندما التقى المسلمون بإحدى هذه القوافل .. رمى سعدٌ سهما من قوسه (فكان أولَ من رمى فى الإسلام) ..

أما أنه الوحيدُ الذى افتداه الرسول بأبويه ، فقد كان فى غزوة (أُحد) وقد انقلب ميزان الحرب على المسلمين بعد أن كانوا قد انتصروا ، لكن مخالفة بعضهم لأوامر النبى جعلت (قريشًا) تنتهز الفرصة فتعود لتثأر لهزيمتها .. وساد الهرج فى صفوف المسلمين ، وأشاع البعض أن النبى قد قُتل ..

والتفَّت كوكبةٌ من خيرة الصحابة حول الرسول تدافع عنه وعن دينها منهم (سعد بن أبى وقاص) يقف إلى جانب النبى يرمى بالنبل وكان الرسول يناوله ويقول : "ارم .. فداك أبى وأمى" ..

ولم تكن هذه فقط هى بطولات (ابن أبى وقاص) الحربية .. فقد عرف عنه الشجاعةُ والقدرةُ القتاليةُ الفذَّةُ

طيلة حياته ، يدفعه إلى ذلك يقينه الصلب ، وإخلاصهُ العميقُ وإيمانهُ الصادقُ بدينهِ وبرسولهِ ..

كان بطلا فى (بدر) .. وفى (أُحد) .. وفى كل الغزوات الأخرى ، فعرف الصحابةُ عنه هذه القدرةَ القتاليةَ الفريدةَ ..

كان يوما حاسما فى تاريخ الإسلام .. هذا اليوم الذى اجتمع فيه رأى أصحاب (الشورى) على ألا يقود الخليفةُ (عمر بن الخطاب) الحملة الكبرى ضد (الفرس) وكان الخليفةُ قد أخذ قرارَه هذا بعد أن شعر بخطورةِ الهجماتِ المسلحةِ المتكررةِ من جانب الفرس على المسلمين ، كما تضاعف عنده إحساسُ الخطرِ بعد أن تراجع بعضُ أهلِ العراق عن عهودهم ومواثيقهم مع خليفة المسلمين فى المدينةِ ..

ونزل الخليفةُ عمرُ بنُ الخطاب عن قراره أمام إصرارِ (الجماعةِ) ثم سألهم عمن يختارون لهذه المهمةِ .. وساد

صمتٌ طويلٌ .. المسئوليةُ كبيرةٌ ولابد أن يكون الاختيار محسوبًا ..

وجاء صوتُ الصحابى (عبدِ الرحمن بنِ عوف) ليقطع هذا الصمتَ ويطرحَ اسم القائد الذى اختاره ..

"الأسد فى براثنه" ..

واختلطت الهمهمات تحمل سؤالاً واحدًا ..

من هو المقصودُ بهذا الاسم "الأسد فى براثنه" ..

قال عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ (سعد بن مالك الزهرى) .

وصاح الجميعُ فى صوت واحدٍ .. نعم هو لها . (سعد بن أبى وقاص) .

إن جيشَ المسلمين لا يزيد على ثلاثين ألف مقاتل مسلحين بسلاح بسيط .. مجرد سيوف ورماح ..

بينما كان جيشُ الفرس يزيد عدده على مائة ألف من المقاتلين المدربين والمزودين بأسلحة ومعدات ليس للعرب معرفةٌ بها ، كان على رأسهم القائد المشهود له (رستم) .

فمن هو القائد العربى المسلم الـذى يتحمـل مسئولية هذه المواجهةِ ؟؟ ..

إنه "الأسد فى براثنه" .. إنه (سعد بن أبـى وقـاص) .. الذى خرج علـى رأس جيش المسـلمين متوجـها إلى لقـاء الفرس عند (القادسيةِ) ..

فى كل يوم كان رسول (خليفة رسول الله) يصل إلى سعد حاملا النصحَ والتوجيهَ ..

ـ "يا سعد بن وهيب .. لا يغرنك من الله أن قيل : خـال رسول الله وصاحبه ، فإن الله ليس بينه وبين أحدٍ نسـبٌ إلا بطاعته .. والناسُ شريفُهم ووضيعُهم فى ذات الله سـواء .. الله ربهم وهم عباده .. يتفاضلون بالعافيةِ ويدركون ما عنـد الله بالطاعةِ .. الأمر الذى رأيت رسول الله عليه السلامُ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه ، فالزمه ، فإنه الأمرُ ..

اكتب إلىَّ بجميع أحوالكم .. وكيف تنزلون .. وأين يكون عدوكم منكم .. واجعلنى كأنى أنظر إليكم" ..

ويرسل سعد إلى الخليفة (عمر) أن (رستم) قائد الفرسِ قد جمع خيوله تتقدمها الفيلةُ ، ووقف قبالةَ جيشِ المسلمين . فيرد (عمر) : (لا يكربنك ما تسمع منهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالا من أهل النظر والرأى والجَلَد يدعونه إلى الله ..) .

ويذهب وفدُ المسلمين إلى معسكر الفرس ويلتقى (برستم) ثم يعود بإجابة قائد الفرس .. إنها الحرب . يا الله .. إنها اللحظةُ التى يتمناها (الأسدُ فى براثنه) أن ينطلق بسيفه (بعون من الله) ليقضى على (عبادة النارِ) ..

إنها فرصته كى يعتلى صهوةَ جوادِه ويصولَ ويجولَ وسط هؤلاء المتكبرين ، ويعلى كلمَةَ الحقِّ وينصرَ شعارَ (الله أكبر) ..

لكن .. لكنه المرض اللعين يداهم الفارسَ فى يومٍ كان يراه يوم عُرسه فيعوق نشاطَه ويحد من حركته ..

لابد أنها حكمَةٌ إلهية ألا يشارك (سعد بن أبى وقاص)

فى أهم المواقعِ الحربيةِ فى التاريخِ الإسلامى رغم أنه كان قائدَ الجيش ..

وتدور رحى الحرب ، وترجح كفةُ المسلمين رغم أن كفةَ العدو كانت هى الأرجح عددًا وعدةً .. لكن الإيمان الراسخ والاستهانةَ بالروح والنفس جعل فى ساعد كل مسلم كتيبةَ محاربين ..

ويُقتل قائدُ الفرس (رستم) الذى كان أسطورة قومهِ .. ويمضى قرابةَ عام على نصر المسلمين فى موقعة القادسية .. والفرس يحاولون مرةً أخرى جمع فلولِهم وتنظيم صفوفِهم علهم يقدرون على مواجهة هذا الطوفانِ الهادر القادم من الجزيرةِ العربيةِ .. فيتحصنون بعاصمتهم (نهاوند) ..

ويقرر (سعد) استكمالَ رسالته وهدفهِ الأول وهو (إطفاءُ النارِ المعبودةِ) وإعلاءُ كلمةِ الله الحق ..

ويقف نهرُ (دجلة) مانعًا مائيًا ضخمًا لم يعرف العربُ التعامل معه من قبل ..

هنا تتجلى العبقرية العسكريةُ للقائد (سعد بن أبى وقاص) فقد اختار موقعا ليس عميقا .. ثم جهز كتيبتين على رأس كل منهما قائد شجاع وكلفهما بعبور النهر فى البدايةِ لتأمين عبورِ باقى قوات الجيشِ ..

ثم كان العبورُ الكبيرُ ..

انطلقت صيحةُ (ابن أبى وقاص) .. حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقفز بجواده إلى مياه (دجلة) فتبعه جنوده يهللون ويكبرون حتى اكتمل عبورهم ووصلوا إلى (نهاوند) ..

كان أمرا حتميا أن يتولى سعد بنُ أبى وقاص إمارة العراق .. وهناك أدار دفة التعمير وأرسى قواعد الدينِ الحنيف مؤسسا مجتمعًا إسلاميًا كامل الأركان اجتماعيا ، واقتصاديا ، وعسكريا..

عاد سعد بن أبى وقاص إلى المدينةِ ، وفضل البقاءَ هناك إلى جانب الخليفة عمر .. وغيره من صحابةِ رسول الله يعطى المشورة إذا طُلب منه ذلك فى أمور السياسة والحكمِ ..

إلا أن (سعدا) لم يشارك فيما ظهر على سطح الحياة الإسلاميةِ من خلافاتٍ ونزاعات وصل بعضها إلى حدٌ القتالِ (كما فى الفتنة الكبرى بين الإمامِ (على) ومعاويةَ ابن أبى سفيان) ..

ولما حضره الموتُ وكان جاوز الثمانين استقبله بروح الرجل القوى الإيمان ، الشديد التقوى الواثق من رحمة ربه ، وكيف لا وهو صاحب بشارة رسول الله بالجنة ؟...

ولما شعر بدنو أجله طلب من أهله أن يأتوا إليه بثوب قديم بالٍ كان يحفظه فى مكان آمن وأمر أن يكفنوه به .. وقال :

(لقد لقيت المشركين فيه يوم (بدر) .. ولقد ادخرته لهذا اليوم) ..

ها هو ذا الرجل يختار ثوب عُرسه الذى يريد أن يُزفَّ به إلى جنات النعيم ..

ثوب الجهاد فى سبيل الله .. ثوب الشرف الذى مزقته

الرماحُ .. وهتكته السيوفُ ..

هذا هو الثوب الذى اختاره (سعدُ) كى يلقَى فيه ربه .. شهادة من الدنيا تزكيه فى الآخرة .. وهو الغنى عن هذه الشهادة ..

فهو القائل : (إن الله لا يعذبنى أبدًا .. إنى من أهل الجنة) .

بكى المسلمون (سعدًا) كما لم يبكوا أحدًا منذ ودَّعوا رسولَ الله ..

فقد كان سعدٌ هو آخر من بقى من المهاجرين .. وبوفاته طوى التاريخُ صفحةً مضيئةً من الحياةِ ..

صفحةً حروفها تقوى الله ، وكلماتها الإيمان الحق ، وسطورها الجهاد فى سبيل الله .

10

قصص المبشرون بالجنة

رجل زاهد من أحباب الله

سلوى العنانى

دار اللطائف

رجل زاهد من أحباب الله

(سعيدُ بنُ زيدٍ)

هذه هى ساحةُ الكعبةِ المشرفةِ تستعدُّ لاستقبالِ الحجيج هذا العامِ ، كما تستعد لهم فى كل عامٍ ، وها هى ذى الأصنامُ قد ازدانت وأضاءت من حولها الشموعُ ..

وها هم أولاء تجارُ مكة قد ضاعفوا من كميات بضاعتهم يرتبونها ، ويحسنون عرضها لتستوقفَ الحجيج ويقبلوا عليها .. يشترون بعضَها لأنفسهم ولذويهم .. لكن أغلبَ ما كانوا يشترون كانت قرابين يتقربون بها لآلهتهم الحجريةِ .. نعم كان هؤلاءِ يعبدون أصنامًا من الحجارةِ لا تنفع ولا تضرُّ .. يلقون عليها الثيابَ الجديدةَ .. وينحرون تحت قدميها القرابين ، ثم يتبركون بدمائها ..

كانوا يسجدون لها ، ويبكون بين يديها ، ويسألونها

العونَ والمَدَدَ والنجاحَ والرزقَ الواسعَ ..

وسط هذا الصخبِ والضجيج كانَ هناكَ عددٌ قليلٌ من الناسِ يتأملُ ما يحدثُ ، ويتعجبُ من هذه العقولِ المتناقضةِ والنفوسِ الحمقاءِ ..

وكانت عيونُ هؤلاءِ تتجهُ إلى عددٍ قليلٍ من الرجالِ الذين يتحدثونَ حديثًا آخر .. وينهجون منهجًا مختلفًا ، ويؤمنون بأشياءَ أخرى .. هؤلاء هم الأحناف ..

والأحناف هم الذين يعبدون الله على دين أبينا إبراهيم عليهم السلامُ ..

فمن هم هؤلاء الأحناف الذين كانوا يعيشونَ فى مكةَ فى هذا الزمانِ ؟

إنهم ثلاثةُ رضى الله عنهم ..

(قسُّ بن ساعدةَ الأيادى) .

و (ورقةُ بنُ نوفل) .

و (زيد بن عمرو بن نفيل) ..

كان هؤلاء يترنمون بكلمات التوحيد .. ويبشّرون بقرب سطوعِ شمسِ الإيمان الغائبِ في هذه الديار وبقرب قدومِ النبيِّ المنتظرِ .. ويجاهرون بتركهم عبادةَ قومِهم ، ويتهمونهم دائما بالحمقِ والغباءِ .. ورغم وحدة هدفِهم فإن سياستهم كانت مختلفةً ..

كان (ورقةُ بنُ نوفلٍ) عاكفًا على قراءةِ الأناجيلِ يدرسها ويتلوها بحثا عن حقيقةِ ما يُؤمن به .. وهو دينُ إبراهيم ..

وكان (قسُّ بنُ ساعدة) هائمًا يبحث عن الحقيقةِ دون أن يعرفَ الطريقَ إليها .. ومات قبلَ أن يعرفها ..

أما (زيد بن عمرو بن نفيل) فقد أعلنها أكثر صراحة .. "أعبد رب إبراهيم" ..

كان يجلس مسندًا ظهره إلى الكعبةِ مناديًا الناسَ : "يا

معشرَ قريشٍ ، والذى نفسى بيده ما أصبح منكم أحدُ على دين إبراهيمَ غيرى ... " .

إنى اتبعت ملةَ إبراهيم وإسماعيلَ مِنْ بعده وإنى لأنتظر نبيا من ولد إسماعيل ـ ما أرانى أُدركه ..

ثم ينادى عامر بن ربيعة ..

ـ يا عامر بن ربيعة ..

"إن طالت بك الحياةُ فأقرئه منى السلامَ" ..

إذن فقد كان (زيدُ بن عمرو بن نفيل) يدرك على وجه اليقين قربَ ظهورِ النبى .. حتى أوصى أن يبلغه صديقُه (عامر) سلامَه إليه ..

ولكن .. هل كان أمر (زيد) يقتصر على جلوسه إلى جوار الكعبة معلنا اتباعه ملة إبراهيم حنيفا .. ومبشرًا بنبى من نسلِ إسماعيل ؟؟ ..

لا .. لم يكن هذا فقط هو فعـل (زيـد) إنمـا كـان يطـوف بالكعبةِ المشرفةِ .. ولم يكن طوافـه مثل طـواف غـيره مـن الجـهلاء الذيـن كـانوا يتجـردون مـن ثيابـهم ويصفقـون ويصفرون وهم يناجون أصنامَهم .. بل كان يطوف مسـبحًا ملبيًا ..

ـ لبيك حقا حقا .

ـ تعبدًا ورقا .

ـ عذت بما عاذ به إبراهيم .

وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له الأرض تحمل صخرًا ثقالا

دحاها ، فلما رآها استوت

على الماء أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له الـمُزن تحمل عذبا زُلالا

ويحلُّ التعب بالشيخ المهيب الأشيب الشعر واللحية، فيجلس مرةً أخرى مسندًا ظهره لجدار الكعبةِ متطلعا إلى السماءِ وقد انهمرتْ دموعُه وهو يناجي ربَّه ..

ـ اللهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحبّ إليك لعبدتك به، ولكنى لا أعلمه ..

ومما يروى عن (زيد) أنه كان يحول دون وأد البنات .. وإذا رأى من يريد أن يقتل ابنته ..قال له :

ـ لا تقتلها وأنا أكفيك مؤنتها .. أو يأخذها ويرعاها حتى تكبر ..

ويقول لأبيها : "إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها" ..

وتمضى السنوات بزيد بن عمرو بنِ نفيلٍ .. هائما مع أشواقه المؤمنةِ .. متنقلا ما بين الكعبةِ وخلاءِ الصحراءِ يبحث عن ضالتهِ المفقودةِ إلى أن يدركَه الموتُ فى العامِ

الذى أعيد فيه بناءُ الكعبةِ ..

ويترك (زيد) ذرية صالحة مِنْ بعله ..

ابنه (سعيد) .. الذى ورث عن أبيه العزوف عن عبادة الأصنامِ ، والابتعاد عن العبثِ واللهوِ .. والشعور بافتقاد خيرٍ قادمٍ ..

وتمضى الأيامُ (بسعيد) .. فيتزوج بنت عمه (فاطمة بنت الخطاب) ، كما تتزوج شقيقته ابن عمها (عمر بن الخطاب) شقيق (فاطمة) ..

وما إن يسمع (سعيد) أخبارَ (محمد) ودعوته إلى عبادة الله الواحدِ الأحدِ وهجر عبادة الأصنامِ حتى تدفعه روحُه المرهفةُ وإحساسهُ القويمُ إلى الذهابِ ومعه زوجته إلى (محمد) ومبايعته على أنه "لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" ..

وكان على (سعيد) وزوجته أن يختبئا فى منزلهما يرتلان

القرآن ويتعبدان لله بعيدا عن عيون الكفار والحاقدين ..

وكان (عمر بن الخطاب) صهر (سعيد) وابن عمه من أشد الغلاة فى اضطهاد المسلمين وتعذيبهم والبطش بهم ..

وكان (عمر) يومها فى ربيع شبابهِ فتى قويا حاد الطبع ، سريع الغضب ، محبا للهو والخمر .. فلما علم بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشةِ حمل سلاحَه ، واتجه إلى حيث كان محمدٌ يجتمع مع صفوة من أتباعه المسلمين مصممًا على قتله ..

وفى طريقه إلى محمد وصحبه لقى (ابن الخطاب) رجلا يدعى "نعيم بن عبد الله" فسأله عن وجهته .. فلما أخبره عمر سخر منه (نعيم) قائلا :

ـ أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتُقيم أمرهم ؟!

فاشتعل رأسُ عمر بن الخطاب غضبا ورجع إلى حيث

شقيقته (فاطمة) وزوجها (سعيد بن زيد) وما إن وصل دارَهم حتى سمع شيئا لم يتبينه .. لكنه أحس أنه كلام لم يسمعْه من قبلُ ..

ودق (عمر) البابَ صائحًا .

فارتجف (سعيدٌ) وزوجته ودسا الرقعةَ التى كان يقرآن منها .. ودخل عمر هائجا يسألهما عما كان يقرآن ويسألهما عن حقيقة ما سمع ..

فأنكرا إسلامهما خوفًا من بطش (عمر) ..

لكن (عمر) لم ينتظر حوارًا أو إقناعا .. لكنه أمسك (بسعيد) فطرحه أرضا وهو يوسعه ضربا .. واندفعت (فاطمة) تبعد أخاها عن زوجها .. فما كان من (عمر) إلا أن صفعها صفعة أدمتها ..

هنا استجمعت (فاطمةُ) قوَّتها وإيمانها وصرخت فى وجه أخيها معترفة بإسلامها وإسلام زوجها ..

وهدأ (عمر) بعض الشيء وطلب الصحيفة يقرأ به ..

وما إن قرأ حتى رق قلبه له ..

واتجه لفوره حيث كان رسول الله وأعلن إسلامَه بين يديه ..

هذا هو (سعيدُ بنُ زيد بن نفيل) الذى أسلم (عمر بنُ الخطاب) على يديه لمّا رأى منه قوة وصمودًا وتمسكًا بدينِهِ .. هذه القوة التى جعلته لا يهاب (عمرَ بنَ الخطاب) وهو الذى يعرف .. من هو (عمر) ؟!

وكان (سعيد بن زيد) من أوائل من أسلموا .. ويقول عنه معاصروه : إنه كان بالحق قوالا ولماله باذلا ولهواه قامعًا وقتالاً .. ولم يكن ممن يخاف فى الله لومة لائم ، وكان مجابَ الدعوة ..

و(لسعيد بن زيد) مكانٌ بارزٌ فى أيام الإسلامِ وغزواته ، وكان مكانُه دائما أمامَ النبى .. يدافع عنه ويدرأ عنه كيد

أعدائه ، ويفتديه بروحه ..

أما فى أيام السلم .. فكان مكانُه خلفَ النبــى يستوعب قوله وفعله ، لهذا أحبه النبىُّ عليه السلامُ وخصه بمجموعةٍ من المهامِّ الجليلةِ ..

وكان يقول عنه : **"سعيد بن زيد من أحباء الله"** ..

عندها بدأ النبى عليه السلامُ التخطيطَ لغزوةِ بدرٍ أرسل (سعيد بن زيد بن عمرو) ومعه (طلحــة بــنُ عبيــدِ الله) .. لينظر فى أمر قافلة قريشٍ القادمة من الشامِ ومــا إن بصــرا بها حتى عادا سريعا إلى المدينةِ .. لكن النبى عليــه الســلام كان قد خرج لملاقاة قريش فى (بدر) بعــد أن وصلتــه أنبــاء أخرى .. وحزن (طلحةُ) و (سعيدٌ) لأنهما تخلفا عن الغــزو فى سبيل الله .. فطمأنهما رسولُ الله إلى أن مــا فعــلاه كــان جزءًا من المعركةِ وأنهما لم يتخلفا عن تنفيذِ أمره ..

وأعطاهما من غنائم بــدر مثــل مــا أعطــى غيرَهمــا ممــن

تصدى للقتال ..

ومضت رحلةُ (سعيد بن زيدٍ) إلى جوارِ رسولِ الله لكنه كان يتخفى دائما عن الأضواء .. وكان دائما يحب أن يعمل فى صمت وهدوء ، فلا يشعر بوجوده أحدٌ ..

إلا أن الرسولَ عرف قدرَه وبشَّره بالجنةِ ضمن من بَشَّرَ من أصحابِهِ ..

لم يفكر (سعيدٌ) يوما فى ولايةٍ ولا رئاسةٍ .. ولم يكن له هم إلا ميادين القتالِ ..

وعندما عَرض عليه أبو (عبيدة بن الجراحِ) ولاية دمشق فى خلافةِ صهره (عمر بنِ الخطابِ) بعد أن أبلى بلاءً حسنا فى معركةِ اليرموك .. رفض هذا العرض وآثر أن يظل جنديا إلى أن يرزقه الله بالشهادةِ .. فكتب إلى قائده (ابن الجراح) يقول :

"سلام" عليك .

فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ..

أما بعد ..

فإنى ما كنت لأوثرك وأصحابَك الجهاد على نفسى وعلى ما يدنينى من مرضاةِ ربى ..

فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى من هو راغب إليه منه، فإنى قادم "عليك وشيكا إن شاء الله تعالى" ..

هكذا كان (سعيدُ بنُ زيدٍ) زاهدا فى كل منصب راغبا فى كل راحةٍ .. لم يطمعْ فى شىءٍ من الدنيا وهو صهرُ أميرِ المؤمنين وابنُ عمه ..

لقد شارك فى فتوحاتٍ كثيرةٍ وغنمَ مغانمَ "عديدة" لكنه لم يركن إلى الراحةِ، ولم يبخلْ بما معه على الفقراءِ والمساكين ..

وظل (سعيدُ بنُ زيد) جنديا محاربا حتى تجاوز السبعين من عمره .. وقتها آثر أن يمضى ما تبقى له من العمر قريبا

من رسول الله .. يصلى حيث كان يصلى .. ويستعيد ذكريات النور الذى كان يحيط مجلسَ النبوةِ ..

وظل مثالا للنبل والتقوى والزهدِ والشجاعةِ إلى أن لقى ربَّه بوجهٍ كريمٍ ، ودُفنَ بالقرب من المدينةِ المنورةِ فى العامِ الخمسين للهجرةِ ..

بسم الله الرحمن الرحيم





السلام عليكم ورحمة الله وبركاته



هذا العمل إهداء من أختكم فى اللّه

(نور الرسالة)

من مجموعة الرسالة البريدية

/http://groups.yahoo.com/group/Alryssalah



نسألكم الدعاء الصالح لى و لجميع المسلمين وفقنا اللّه

و إياكم إلى ما يحبه و يرضاه

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات